

عوني عبد الهادي

عوني عبد الهادي

بقلم محمد اديب العامري
وزير التربية والاعلام والخارجية الاردنية سابقا

* * *

في الخامس عشر من اذار الماضي (١٩٧٠) غاب عن مسرح السياسة الفلسطينية والعربية رجل من أعرق رجالها وزعيم من انبه زعمائها ، وهو المرحوم عوني عبدالهادي . وبذلك يكون قد سكن عن الخفقان بحب امته رجل لم ين لحظة واحدة طوال نيف وستين سنة عن العمل الدائم في سبيل هدفه الاسمى ، وهو الوحدة العربية ، وانقاذ فلسطين .

ومع انه قدر لعوني ان يعيش اثنين وثمانين سنة ، فان الذين كانوا حوله من اصدقائه لا يصدقون انه توفي لانه رحمه الله لم يكن رجل سياسة وحسب ، وانما كان الى ذلك رجل ثقافة وراوية شعر وشخصية اجتماعية ذات دائرة واسعة . فايما جانب من هذه الجوانب أهم صديقا أو زميلا فقد كان يجد في صحبة عوني ولقائه فائدة اية فائدة ، ومتعة اية متعة .

ولم يقعد مرض الموت (بالشيخوخة) عوني في فراشه اكثر من اسبوعين ، وقد كان ممن يعنون بصحتهم ولا ينون عن ممارسة الرياضة اليومية .

وولد عوني سنة ١٨٨٨ وتعلم في بيروت والاستانة ، حيث أنهى الدراسة في الكلية الملكية ، ثم في باريس حيث أنهى دراسة الحقوق .

ونستطيع أن نقسم أدوار حياة عوني في جهاده الى ثلاثة :

أولها ما بين سنتي ١٩١١ و ١٩٢٥ . وكان ميدانه فيها فرنسا وسورية والاردن .

وثانيها ما بين سنتي ١٩٢٥ و ١٩٤٨ وكان ميدانه فيها فلسطين .

وثالثها ما بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٧٠ وفيها كرس وقته للعمل في المملكة الاردنية الهاشمية وجامعة الدول العربية .

ففي الفترة الاولى ، لم يكن سنه تزيد على اثنتين وعشرين سنة عندما بدأ جهاده في سبيل هدفه . وفي سنة ١٩١١ أسس مع الدكتور أحمد قدري ورستم حيدر « الجمعية العربية الفتاة » التي تعتبر « أعظم الجمعيات العربية السرية التي نشأت بعد اعلان الدستور العثماني » (سنة ١٩٠٨) وكان شعار الجمعية « تحرير بلاد العرب واستقلالها وتوحيدها والنهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الراقية » . وكان من أعضاء هذه الجمعية محمد المحمصاني ، الذي تولى سكرتيريتها العامة ، وعبد الغني العريسي ومحمد الشريقي ورفيق التميمي ، وغيرهم من مشاهير رجال الامة العربية في نهضتها الحديثة .

وظل عوني وزملاؤه من رجال القومية العربية على مبدئهم في الجهاد لبلوغ اهداف العربية الفتاة . وتحولت هذه الجمعية بعدئذ في دمشق الى « حزب الاستقلال » المعروف ، الذي ضم في أول أمره فيصل بن الحسين وشكري القوتلي ورياض الصلح وعوني ومحمد الشريقي وعزت دروزة وغيرهم من كبار رجال العروبة آنئذ . وظل هدف الجمعية هو هدف الحزب « استقلال سائر البلاد العربية وتحريرها من اي نفوذ أجنبي » .

وفي بداية هذه الفترة دعا عوني وزملاؤه الى عقد « المؤتمر العربي » في باريس . وتمت الموافقة على الدعوة فانتخب عوني عضوا في اللجنة الادارية للمؤتمر . وكان من اعضاء اللجنة محمد المحمصاني وشارل دباس وجميل مردم وعبد الغني العريسي . وكانت الغاية من عقد المؤتمر « وقاية الوطن من الطوارىء واصلاح شؤون البلاد على قاعدة اللامركزية ضمن الامبراطورية العثمانية » . وكان اولئك الشبان قد لاحظوا بفراستهم السياسية شيئا من احداث المستقبل فجعلوا من غاية المؤتمر « درء عادية الاحتلال من اية دولة » . وقد انعقد ذلك المؤتمر سنة ١٩١٣ بتمثيل عربي واسع وخرج بقرارات تقع ضمن الاهداف التي كانت اللجنة الادارية قد اعلنت عنها ، مع المطالبة بالتمتع بالحقوق السياسية للامة العربية .

وشملت هذه الفترة الاولى من حياة عوني العمل في التعليم والصحافة الافرنسية والعربية في باريس نفسها. ومن ذلك العمل في هيئة تحرير جريدة الماتان المشهورة . ولما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها كان عبء عوني

ثقيلا ، اذ كان عليه ان يشارك في اعمال الوفد العربي لمؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس عام ١٩١٩ . وجاءت هذه المشاركة وليدة الجهود التي كان يقوم بها في الصحافة الافرنسية في سبيل القضية العربية . وكان من حصته ان يستكشف امر معاهدة سايكس ـ بيكو السرية ، ويستوفي دراسة مراسلات الحسين ـ مكماهون . وكان عليه ان يقوم لذلك باسفار واسعة شملت لندن والقاهرة والقدس ومعان . واشترك عوني مع فيصل بن الحسين في مباحثات فيصل ـ كليمنصو ، فأدى ذلك الى اقتراح مشروع اتفاقية بين فرنسا وسورية التي كان الملك فيصل يومئذ (١٩٢٠) قد بويع ملكا عليها . ولم تتم الموافقة على هذه الاتفاقية . وبعد هذا دخل الجيش الافرنسي الى دمشق وانهى الحكم العربي الفيصلي فيها ، على الرغم من المرونة والبراعة في الموقف العربي .

وتولى فيصل الاول بعدئذ ملك العراق ، فأوفد عوني مع عدد من رجال حزب الاستقلال المقيمين في القاهرة الى معان حيث كان الامير عبد الله يومئذ يعد العدة للحملة على دمشق ، ولكن الامر انتهى بتشكيل امارة شرقي الاردن ، التي كانت بموجب صك الانتداب مشمولة مع فلسطين بالانتداب البريطاني . ومن المحقق ان جهد عوني ورفاقه في هذه المرحلة ساعد على انتزاع شرقي الاردن من الانتداب البريطاني واخراجها من نطاق وعد بلفور . وفي اجتماع في دار الحكومة بالقدس حضره الامير عبدالله وعوني وونستون تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانية يومئذ ، وهربرت صموئيل المندوب السامي والسكرتير العام لحكومة فلسطين ولورنس . وتم في ذلك الاجتماع الاتفاق على قيام امارة في شرقي الاردن برئاسة الامير عبد الله . وتم تشكيل اول حكومة في امارة شرقي الاردن سنة ١٩٢١ ، وعمل عوني عندئذ رئيسا للديوان الاميري مدة سنتين .

وفي الفترة الثانية من حياته السياسية ، وهي الفترة التي امتدت بين سنتي ١٩٢٥ و ١٩٤٨ ، عمل عوني في فلسطين . ومع انه افتتح مكتبا للمحاماة في القدس، فان عمله كمحام اندمج في عمله السياسي ، فانغمس في الحركة الوطنية يقاوم الاستعمار البريطاني والصهيونية . وعمل مع الحاج امين الحسيني عضوا في اللجنة التنفيذية العليا ، التي كانت تقود آنئذ النضال الوطني في فلسطين . وكان ثقل الحركة الوطنية في باديء الامر موجها لمناواة الصهيونية ، ولكن عوني وزملاءه لم يلبثوا ان فطنوا الى اساس المشكلة ، فألفوا حزب الاستقلال سنة ١٩٣٦ برئاسته ، واصبحت مناواة الاستعمار البريطاني هي الاصل ، والصهيونية الفرع . واتجهت الثورات الفلسطينية بعد ١٩٣٦ فعلا ضد الاستعمار البريطاني في المقام الاول ، وان لم يعن ذلك بالطبع الغفلة عن مقارعة الصهيونية .

وشارك عوني على رأس حزبه في جميع المؤتمرات التي انعقدت في فلسطين ، كما شارك في اكثر الوفود التي تألفت للنظر في مشاكل البلاد وقضاياها ، وظهر محاميا عن بلاده امام اللجان الدولية والملكية التي أمت البلاد .

ولما اضطر عوني ان يتراجع عن خط الجهاد في فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨ ، فانه لم يلبث ان ظهر في ميدان الخدمة العامة الذي امتاز به جهاده في فترة حياته الثالثة من سنة ١٩٤٨ الى ان التحق بربه سنة ١٩٧٠ .

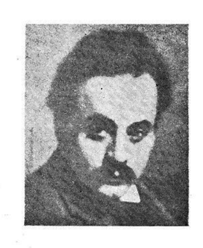
وكان ان كلفه توفيق ابو الهدى رئيس الحكومة الاردنية يومئذ (١٩٥١) بأن يمثل المملكة الاردنية سفيرا في القاهرة . وقد مهد رئيس الحكومة الحصيف للموضوع بقوله « كان المقدر ان تكلفني انت هذا التكليف ، لا أن اكلفك انا اياه » . وكان صحيحا ما قيل عن عوني من انه كان اكبر من سائر المناصب التي تقلدها . وانتهت سفارته بمصر سنة ١٩٥٥ ، فشغل بعدئذ المناصب الوزارية في عمان اكثر من مرة ، كان ابرزها وزارة الخارجية سنة ١٩٥٦ .

وفي مطلع سنة ١٩٥٨ عمل عوني رئيسا للدائرة القانونية في جامعة الدول العربية . وكان ذلك بتكليف خاص من السيد عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة. وهو تكليف ساعد على قبوله اياه أن طه حسين كان يشغل رئاسة الدائرة الثقافية ومحمد حسن العشماوي الدائرة الاجتماعية . وعلاوة على خدمة الدائرة القانونية باهتمام تام ، فان وجود عوني في جامعة الدول العربية بالقاهرة أتاح له اللقاء مع رجال الامة العربية من كل قطر ، من زامله منهم ، ومن عرفه او تعرف عليه ، في سبيل خدمة الهدف الاسمى الذي كرس عوني حياته له ـ الوحدة العربية .

كان عوني من زعمائنا المثقفين ، فلم يكن يتوقف عن المطالعة بالعربية والافرنسية والانجليزية . وكان له في كل يوم حديث عن كتاب أو فكرة . وكان راوية للشعر العربي يحفظ كثيرا من مختاراته ، ويستشهد بها في احاديثه ، كما كان يستشهد بأقوال العظماء يرويها عن ظهر قلب في سهولة ويسر .

وكان رحمه الله بهي الطلعة محبب الشخصية معسول القول عذب الحديث ، كما كان أنيس المجلس ، شديد الترحيب بزملائه واصدقائه ، وكان بيته محجة لهؤلاء جميعا . ومع انه نشأ ثريا فانه أنفق ثروته الخاصة وموارده الجارية على جهاده الوطني . فلما نضب هذا المعين انبرت حرمه المناضلة المصون السيدة طرب عبد الهادي فوضعت ثروتها تحت تصرفه . ولا غرو فان سرا من خدمة عوني ودوامها يكمن في عناية هذه السيدة الكبيرة ، التي رعته وأعانته خمسين عاما طويلة لا تكل ولا تلين . وها هي تفقده كما فقدته امته واصدقاؤه . وما نظن ان شيئا يمكن ان يعزيها عن فقد ذلك الرجل العظيم .

عمان ـ الاردن **محمد اديب العامري**



جبران خليل جبران

القيت في مهرجان جبران العالمي الذي أقامته
« جامعة القلم » في سان باولو بالبرازيل

★

يفنى الزمان وانت حي ترزق
وتغيب أسماء وذكرك مشرق

جبران يا جار النجوم أينتهي
صوتي اليك ، ام أن بابك مغلق ؟

أشرف علينا من سمائك لحظة
هذي الوفود على قراك تحلقوا

جئناك من شتى الديار يقودنا
شوق يلح ولهفة تتدفق

ان فرقتنا الترهات ، فاننا
(في دوحة الاداب لا نتفرق)

اسكرتنا بالشعر طاب رحيقه
وزكا .. ولكن للذي يتذوق

من كل حالية الجبين تخالها
بلقيس في اعيادها تتألق

عربية الانفاس تعبق بالشذا
ما كل قافية تطيب وتعبق

تختال في لفظ عفيف رائق
يحتله معنى أعف واروق

أرخت ذوائبها ، فيا شمس اغربي
هذا هو الحسن الذي لا يخلق

جئناك نستسقي .. فبل أوارنا
لن يبرح الوراد حتى يستقوا

ماذا اذا جهلت مكانك زمرة
بلهاء فارغة تنق وتنعق

ضرب الغرور على منافذ نورها
فطريقها داجي المسالك مرهق

قامت على أم اللغات وصية
يا للدخيل على الاصيل يحذلق

دعها وما زعمت .. فليس بناجع
فيها علاج او بمجد منطق

حلقت فاستعصى عليها ان ترى
نسرا بآفاق الخيال يحلق

الشعر لغو عندها وسخافة
والفكر سفسطة وموت ازرق

لبست ثياب العصر .. لكن لم يزل
بالجاهلية عقلها يتعلق

تمشي جزافا . ليس تنقل خطوة
الا وتزلق او تقوم وتزلق

لا تسلقوها بالملام ، فانها
جثث تدور وموميات تنطق

جبران حال العهد بعدك وانطوى
علم ليعرب بالنجوم معلق

ضلت نسور المجد عن غاياتها   هل تهتدي والليل داج مطبق ؟
انى اشرأبت فاجأتها صرصر   او عاجلتها زعزع لا ترفق
ما ان تعالج بالتجمل نكبة   حتى تلم بها اشد واعمق
عبثت زعامات الكلام بأمرها   ولها بسمعتها دعي أخرق
كانت لها في الخافقين كرامة   واليوم ان ذكروا الكرامة تطرق
لا فجرها زاهي الملامح ضاحك   للضاحكين ، ولا نداها غيدق
أقداسها للواغلين ملاعب   وزمامها بين الغزاة مفرق
لولا بها ليل الفداء لما ازدهى   امل ليعرب او تعالى مفرق
بذلوا النفوس رخيصة كي يغسلوا   عار الهزيمة . لا لكي يسترزقوا
مرحى جنود الحق مرحى ..! اننا   بجراحكم عبق النبوة ننشق
أرغمتم انف العدو وشدتم   صرحا لامتكم يعز ويسمق
لن يستعيد العرب غابر مجدهم   الا اذا نبذوا التخاصم والتقوا
ان الذي يقضي فداء بلاده   لا خوف يفتح بابه او يغلق
كتب البقاء له وطاب ثواؤه   في حيث لا ارق ولا من يارق

جبران يجمعنا طريق واحد   هيهات ليس له غد او مفرق
بشرت بالتجديد .. لكن لم تقل   ان الجديد رطانة وتمخرق
أوغلت لكن لم تغب عن عيننا   اين الهجين اذا تصدى معرق ؟
ماذا نقول لمن يهاجم شعرنا   هل يقحم البركان الا احمق ؟
يا سادة الشعر الذي لم يلتزم ؟   وزنا ولا معنى .. أأنتم زئبق ؟
لم تخجلوا . والشوك من اخلاقه   الا يفض .. وقد يفض الزنبق
انا بنينا في المهاجر دولة   الحسن من آياتها والرونق
قامت على ايماننا . لم يحمها   سيف ولم يسهر عليها بيرق
نشرت على دار العروبة ظلها   فلواؤها في كل افق يخفق
نهل العطاشى من نداها فارتووا   وانتم فيها الكافرون فصدقوا ..

جبران هذا مهرجانك يلتقي   في ساحه غرب، ويزهو مشرق
في كل افق من شذاه نفحة   نشوى ترف وبسمة تتفتق
غسل الصدور ، ففي القلوب نقاوة   وعلى العيون وداعة تترقرق
نسي العراق همومه في ظله   وتهللت مصر وغنت جلق
لبنان لا يزهو علينا بابنه   لا نحن نسبقه ولا هو يسبق
ان العظيم لكالربيع رحابة   هيهات يحصره مكان ضيق

بوانس ايريس ـ الارجنتين

زكي قنصل

«كتاب الهفوات لابن الصابىء»

لابن الصابىء

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

***

قولك « الصابىء » يعني شخصا معنيا ، او شخصا معينا من اسرة معينة لها مكانتها في الادب والثقافة وما اليهما . وتذهب اول ما تذهب الى ابي اسحاق ابراهيم ابن هلال : « اوحد الدنيا في انشاء الرسائل » . وقد توفي عام ٣٨٤ مخلفا ابناء واحفادا نابهين مذكورين ، فقد كان ابنه المحسن « اديبا فاضلا بارعا ، له شعر حسن واخبار ، لقي الادباء والعلماء واخذ عنهم » . وكان الرئيس هلال بن المحسن « اديبا كاتبا فاضلا ... صنف كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان » و « ذيل على تاريخ ثابت بن سنان .. » وطبع له « تاريخ الوزراء » و « رسوم دار الخلافة » .. ويعرف بأنه صاحب التواريخ والرسائل » .

ولهلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء ولد معروف معدود « كان ذا فضائل جمة وتآليف نافعة » سمه محمد وكنيته أبو الحسن ولقبه غرس النعمة ... من فضله انه « ابتنى بشارع ابن ابي عوف من غربي بغداد دار كتب .. رتب فيها خازنا .. وتكرر العلماء اليها سنين كثيرة » ... ومن مكانته في التاريخ ما رواه أبو الوفاء بن عقيل : « قال : حضرنا عند بعض الصدور فقال : هل بقي ببغداد مؤرخ بعد ابن الصابىء ؟ فقال القوم ؟ لا .. » .

توفي ابن الصابىء هذا سنة ٤٨٠ ، ولم يصل الينا كتابه « التاريخ الكبير » الذي قد يسمى « عيون التواريخ » ، ولم يصل الينا كذلك « كتاب الربيع » الذي جعله ذيلا على كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، ولكننا ظفرنا منه بكتاب اخر طريف في موضوعه له شأن خاص فيما نحن بصدده لان اسمه « الهفوات ... » أجل ، كتاب الهفوات لابن الصابىء » .

وعاصر الصابىء جد الاب « ابا اسحاق ابراهيم .. » أبو حيان التوحيدي الاديب المتفلسف ، المعروف في عصره ، والمعروف في عصرنا كذلك ، ولا سيما بعد اكتشاف كتابه « الامتاع والمؤانسة » وطبعه منذ سنة ١٩٣٩ ...

وجرى لابي حيان مع وزراء عصره ، ولا سيما الصاحب بن عباد حكايات يمكن ان تأخذ سبيلها الى « كتاب الهفوات لابن الصابىء » ، وهكذا كان .

تم مضى ما يزيد على القرن من الزمان ، وجاء ياقوت الحموي يجمع المواد من هنا وهناك ليؤلف كتابه الضخم : « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » ، وليغذي ترجماته المطولة عن اعلام الادب . ولم يكن لمثله معدى عن « كتاب الهفوات لابن الصابىء » . وهكذا كان ، فقد نقل عنه مرارا ، وكثيرا ما كان يقدم لذلك بقوله : « ذكر غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال الصابىء في كتاب الهفوات ... » او ما يشبه ذلك ، كأن يكتفي بقوله : « وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء .. »

وفي ارشاد الاريب هذا – وهو المعروف بمعجم الادباء – نص صريح ما كان يحسب امرؤ ان احدا يمكن ان يتعثر في فهمه او أن يخطىء في مرماه . ولكن قد يقع ما ليس في الحسبان فيكون سببا لكتابة موضوع لم يكن في الظن ان يكتب .

فما ذاك ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ ..

ورد النص في ترجمة ابي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ج ١٥ ، ص ٧) وبصدد حديث لابي حيان عن الصاحب بن عباد ، ولكن ياقوتا لم ينقله عن كتب لابي حيان وانما نقله عن كتاب آخر لمؤلف اخر – وكان في نقله واضحا كل الوضوح . قال :

« وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء : وحكى أبو حيان ، قال : حضرت مائدة الصاحب ابن عباد فقدمت مضيرة ، فامعنت فيها ، فقال لي : يا ابا حيان انها تضر بالمشايخ . فقلت : ان راي الصاحب ان يدع التطبب على طعامه فعل ، فكأني القمته حجرا ، وخجل واستحيا ولم ينطق الى ان فرغنا » .

وواضح هنا ، ان ياقوتا ينقل خبرا حكاه ابو حيان في مكان ما ، وقد نقله عنه ابن الصابىء في كتاب له باسم « الهفوات » – ولا تحتاج المسألة الى نقاش ، ولا يستدعي الاستنباط ذكاء غير معتاد .

واذ انتهى ياقوت من نقل الخبر عن كتاب ابن الصابىء عن ابي حيان ، بدأ يذكر في فقرة جديدة عددا من مؤلفات ابي حيان ، فقال : « ولابي حيان تصانيف كثيرة منها : كتاب رسالة الصديق والصداقة ، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي ، كتاب الامتاع والمؤانسة جزءان ، كتاب الاشارات الالهية ... كتاب ذم الوزيرين .. »

ونستطيع ان نعد هذه التصانيف وان نجمعها فنجدها سبعة عشر دون اية زيادة ، ودون حاجة الى نقاش .

ولكن قد يحدث لك ما يدفعك الى الحديث عن الواضح بعد ان اصبح غامضا او بدا غامضا .

فكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ واين ؟

كان اول امره عندما الف الدكتور احمد محمد الحوفي – الاستاذ المساعد في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة – كتابا ذا جزءين خاصا بأبي حيان التوحيدي في

سلسلة « قادة الفكر في الشرق والغرب » .

جاء في مقدمته : « ... **اتصلت به عن قرب قريب،** وعشت مدة من الزمن حينما شرعت اكتب هذه الدراسة ، فعظم اكباري لعلمه واعجابي بفنه . وايقنت ان الرجل مغبون القدر ، مهضوم المكانة .

... أنه ليسعدني اليوم ان اساهم في انصاف ابي حيان وفي التنويه بعلمه وادبه وفي بيان ما له وما عليه » .

وقد سبق الدكتور الحوفي في الكتابة عن أبي حيان اكثر من باحث واكثر من محقق ، ولكن الجديد عنده انه زاد في تصانيف ابي حيان كتابا لم يكن له ، ولا يمكن ان يكون .

تفتح الجزء الثاني من كتاب الدكتور الحوفي فيقابلك بقائمة من مؤلفات ابي حيان نقلا عن ياقوت (٨/١٥ ، يقصد ١٥ : ٧) ويجعل راس القائمة « كتاب الهفوات لابن الصابىء » واذا بالقائمة تصبح ثمانية عشر رقما ، فتعجب قليلا لان تركيب الخبر يدل على ان هذا كتاب خاص باسم الهفوات لم يذكره احد - بما في ذلك ياقوت - بين كتب ابي حيان ، وله مؤلف معين هو « ابن الصابىء » وليس ابن الصابىء بغريب حتى في معجم الادباء نفسه .

يكرر الدكتور الحوفي الخبر مرتين : الاول في سرده قائمة مؤلفات أبي حيان ، والثاني في حديثه عن مؤلفات ابي حيان : « وهذه المؤلفات اقسام بعضها قد طبع ... وبعضها مفقود الى الان ، ولكن بقيت منها مقتبسات في كتب اخرى ... الهفوات لابن الصابىء (يريد الصاحب بن عباد) ذكره ياقوت (٧/١٥) ونقل منه » .

فتستغرب الخبر او ذكر الخبر ، ولكنك قد تشك فيما ترى ، وتشك في فهمك انت ، وتعود الى المصدر الذي استقى منه الدكتور الحوفي خبره (ياقوت معجم الادباء ، ١٥ : ٧) وتقرأ :

« وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء : وحكى ابو حيان قال : حضرت مائدة الصاحب ابن عباد ، فقدمت مضيرة ، فأمعنت فيها ، فقال لي : يا ابا حيان ، انها تضر بالمشايخ . فقلت : ان راي الصاحب أن يدع التطبب على طعامه فعل ، فكأني القمته حجرا ، وخجل واستحيا ولم ينطق الى أن فرغنا » .

فتعود اليك ثقتك بنفسك مع شيء من الاستغراب ، وشيء من الالم ...وتروي ما قرأت في كتاب الحوفي لاصدقائك وطلابك والاخرين ، **ثم تطوي الصفحة غير** راغب في العودة اليها او في السعي الى نشرها .

اما مسألة ان ابا حيان التوحيدي يريد بابن الصابىء الصاحب بن عباد ، فلم تعن بها لانك كنت مشغولا بأمر واحد هو التحقق من نسبة كتاب الهفوات ، والا فهي ما لا يمكن ان يقع فيه اي احد ، فضلا عن ان يكون هذا الأنسان ابا حيان التوحيدي !.

لو اراد ابو حيان بابن الصابىء ابا القاسم اسماعيل الصاحب بن عباد لدل على جهل ما بعده جهل ، ولما كان اهلا لاية عناية ، ولما وجد الدكتور الحوفي مسوغا في الدفاع عنه والاسهام **في انصافه والتنويه بعلمه** .

ولكن هذه المسألة وان كانت اعظم خطرا من مسألة نسبة لكتاب الى غير صاحبه ، لم تكن صميم البحث ، ومن هنا ذهبت ضحية باردة .

- اتراها تخفى على احد ليحفل بها ناقد ! ؟ .

- لا .

- اذا ، لنعد الى ما كنا فيه ، وما يمكن ان يكون قد جد من جديد .

كان تاريخ كتاب الدكتور الحوفي سنة ١٩٥٧ ... والاهتمام بأبي حيان في ازدياد بحثا ، وتحقيقا ، وتدريسا ... ولم يكن منتظرا ان يتكرر الحادث الذي وقع .

هكذا استقرت الحال ، ولكن غير المنتظر هو الذي وقع . فكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ واين ؟

كان أن الدكتور زكريا ابراهيم - استاذ الفلسفة المساعد بكلية الاداب بجامعة القاهرة - قد عني بأبي حيان عناية خاصة ، وكان من امارات عنايته ان نشر عنه بحثا في مجلة « المجلة » وبحثا في مجلة « الرسالة » ... ثم توج اهتمامه بأن اصدر عنه كتابا خاصة في سلسلة «اعلام العرب» التي تتولى امرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر . ورقم الكتاب في السلسلة ٣٥ ، وتاريخ صدوره يمكن ان يكون في عام ١٩٦٤ . وعنوانه الكامل : « التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء » وهو عنوان جذاب ، فاشتراه من اشتراه ، وشاء الطالع ان افتحه فتقع العين أول ما تقع على الصفحة المائة فيه : الفصل الثالث : انتاجه :

« **ليس غريبا على انسان اتخذ من القلم حرفته ، ان** يجيء انتاجه الفكري خصبا وافرا ... وقد أورد ياقوت الرومي في معجمه مثبتا بأسماء بعض كتب ابي حيان ، فنص على ثمانية عشر كتابا هي : « الهفوات لابن الصابىء (١٨) ... » .

وتغلق الكتاب باستغراب .. والم .

ترى ما الذي جر الدكتور زكريا ابراهيم الى هذا ؟ متى نص ياقوت على ثمانية عشر كتابا ؟ **اني لالمح في قائمة** مراجعه كتاب الدكتور الحوفي . ثم ماذا يمكن ان يقوم في عذره بعد ان نشر من اثار ابي حيان ما نشر ، وكتب عنه ما كتب ؟ امن المعقول أن يكون قد اكتفى بنقل القائمة عن الدكتور الحوفي دون رجوع الى ياقوت نفسه ؟ امن المعقول انه رجع الى ياقوت وسلك الى الخطأ السبيل الذي سبقه اليه الحوفي قبل سبعة اعوام ؟ لا هذا معقول؟

(١) بتحقيق الدكتور صالح الاشتر ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٧) . (٢) لم يرد هذا النص في « مثالب الوزيرين » او « اخلاق الوزيرين » .

الامس والشقاء

لا تسالي عني ، وعن اهوائي
أمسي غدا حلما ، على أشجانه
رفقا بماضي الذي ضيعته
لو لم يكن للامس ، في قلبي هوى

اني نثرت على القلوب ردائي
مستعذب الانداء والاصداء
فاضعت آمالي وحلو رجائي
لبدا هواي ممزق الاشلاء

لا تفضحي سر التبسم في فمي
اني ضممت الليل بين جوانحي

متكتم الآهات في الظلماء
ووجدت فيه سلوتي وعزائي

لله شدوك مثل شدوي ، ما انثنى
ما راعني امسي اذا ذكرته
من كان في البغضاء يدفن حبه

في القلب بوح هوى ، ونسج وفاء
فالعمر عمري ، والشقاء شقائي
فلقد زرعت الحب في البغضاء

فوزي عطوي

ولا ذاك مقبول .

وتعود الحكاية على الدكتور الحوفي ... وهو يمارس الادب العربي شعره ونثره ، تدريسا وتاليفا .. أما يحتمل أن يكون قد تنبه للخطأ الذي وقع فيه واوقعه على تلاميذه ومعتمدي كتابه من قارئين ومؤلفين ؟

ان منطق البحث العلمي يشير الى الجواب الايجابي . أجل يحتمل واكثر من يحتمل . فقد يقع مؤلف — لسبب او لاخر — في وهم او سهو ، ولكن المنتظر ان هذا المؤلف قد ينتبه او ينبه فيستدرك ، ولا سيما اذا كان موضوع الخطأ جزءا من عمله اليومي ، ومما يعود اليه حينا بعد حين .

فهل تحقق المنتظر ؟

الجواب : لا .

وكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ وأين ؟

كان ان الدكتور احمد محمد الحوفي — الاستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة — ازمع على اعادة طبع كتابه — بعد ان نفدت نسخته ، وقد نفذ العزم فصدر « ابو حيان التوحيدي » في طبعة جديدة «معدلة ومزيدة» بـ ٤٥٨ صفحة في مقدمتها :

« ... وبعد فقد اضفت الى هذه الطبعة كثيرا لم يكن في الطبعة الاولى وعدلت فيها تعديلا كبيرا .. ووضحت ما كان خافيا وضبطت ما يحتاج الى ضبط . »

قلنا عندها : حلت — اذا — المشكلة ، وفتحنا الكتاب فيما يقرب من منتصفه أمتحانا لما جاء في المقدمة ، واذا « كتاب الهفوات لابن الصابىء » بقي على قدمه يحتل الرأس من القائمة ذات الـ ١٨ كتابا المنقولة عن ياقوت (٨/١٥) أي (١٥ : ٧) وانه أي الهفوات لابن الصابىء (يريد الصاحب بن عباد !) ما زال مفقودا .

لا ، ليس « كتاب الهفوات لابن الصابىء » من مؤلفات ابي حيان .. وانه لم يعد ضائعا .. لقد وجدت من نسخه في استنبول اكثر من مخطوطة ، تحدث عنها من تحدث ، وعلم علمها من يهمه ان يعلم ، وتجرد باحث من دمشق لتحقيقه واعداده للنشر .

اجل وقد صدر (١) ، واسمه « الهفوات النادرة .. » ومؤلفه « غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال الصابىء المتوفي سنة ٤٨٠ » وفيه الخبر الذي نقله ياقوت (١٥ : ٧) اذ قال « وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء .. الخ »

اجل اننا نقرأ على الصفحة الـ ٣٤٢ من كتاب الهفوات لابن الصابىء : « وحكى ابو حيان قال : حضرت مائدة الصاحب ابي القاسم بن عباد ، فقدمت مضيرة رائعة ، فأمعنت فيها ، فقال لي : يا ابا حيان انها تضر بالمشايخ ! فقلت : ان راى الصاحب ان يدع التطبب على طعامه فعل ! فكانني القمته حجرا ، وخجل واستحيا ، ولم ينطق الى ان فرغنا » . (٢)

لقد وجدنا « كتاب الهفوات لابن الصابىء » وحققناه وطبعناه ، ووجدنا فيه ما حكاه ابو حيان برواية ياقوت ، أما « كتاب الهفوات لابن الصابىء » لابي حيان التوحيدي فلا ، ولن نجده .

بغداد — كلية الاداب — على جواد الطاهر


عبد الكريم جرمانوس

الحاج عبد الكريم جرمانوس

بقلم عيسى الناعوري

***

في مدينة بودابست ، عاصمة المجر الجميلة الكبيرة ، التي يخترقها نهر الدانوب العريض تحت العديد من الجسور الحديدية الضخمة الطويلة ، ذات الهندسات الجميلة المتنوعة ، ليجمع على ضفتيه الخضراوين شقي المدينة الكبيرين : « بودا » و « بشت » اللذين كانا يوما مدينتين منفصلتين ، ثم اصبحتا مدينة واحدة تجمع الاسمين معا في اسم مركب واحد ، في هذه المدينة الجميلة التي كانت تكسوها حينذاك ثلوج كانون الاول من عام ١٩٦٥ ، لقيت لاول مرة الصديق المستشرق الكبير الاستاذ الحاج عبد الكريم جوليوس جرمانوس ، بعد ان استمرت المراسلات بيننا سنوات دون ان يرى احدنا الاخر وجها لوجه. ولقد كان الفضل في دعوتي الى زيارة المجر لهذا الصديق الكبير ، الذي يتمتع لدى السلطات المجرية باحترام كبير ونفوذ كلمة .

عند وصولي الى المجر كان جرمانوس غائبا في فيينا لالقاء محاضرات اسلامية هناك باللغة الالمانية ، ولم يعد الى بودابست الا بعد وصولي بثلاثة ايام . وكانت حفاوته بي مما لا يمكن ان انساه ابدا : لقد تفضل ، رغم اعوامه الواحد والثمانين حينذاك ، بالحضور مع زوجته الى دار جمعية الثقافة المجرية - التي كنت في ضيافتها - لاجل السلام علي . وفي اثناء اقامتي في بودابست تفضل بدعوتي الى العشاء في منزله ، واستقبلني هو والسيدة عائشة ، زوجته ، احسن استقبال ، ثم قام بمرافقتي الى دار اتحاد الكتاب المجريين ، ودار اتحاد الصحفيين ، ودار نادي القلم الدولي . وكان في كل مكان يقدمني الى المجتمعين تقديما كريما ، كما قدمني في ناد عام لالقاء محاضرة باللغة الانجليزية عن الحركة الادبية في الاردن .

وفي زيارتي له في منزله اطلعني على عدد من مؤلفاته وابحاثه بلغات عديدة ، وعلى مخطوطة كبيرة تحتوي على ترجمة انجليزية لكتابي « ادب المهجر » ، وحدثني عن حياته وعن اعماله الاستشراقية ، وجولاته في الشرق والغرب : استاذا في الجامعات ، ومحاضرا حول الاسلام والادب العربي ، والثقافة الاسلامية . وقد قال لي ممازحا : « حتى العام الماضي ، وانا في الثمانين من عمري ، كانوا يعتبرونني شابا ، أي صالحا للعمل في تدريس التاريخ الاسلامي في جامعة بودابست ، اما الان ، في الواحدة والثمانين فقط ، فقد اصبحت في نظرهم شيخا عاجزا . ولهذا احالوني على التقاعد ! » .

والحقيقة ان جرمانوس كان حينذاك ، ورغم اعوامه الواحد والثمانين ، ورغم ضخامة جثته ، يبدو في همة الشباب ، ومرحه ، وحيويته . وما يزال يحتفظ بحيويته ونشاطه الى اليوم ، وهو في السادسة والثمانين من عمره ، فهو ما يزال يسافر الى بلدان اوروبية واخرى عربية ، ويحاضر فيها . كما لا يزال يكتب ويؤلف باللغات العديدة التي يجيدها . وهو يجيد ، الى جانب المجرية : «العربية ، والالمانية ، والانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والتركية ، والفارسية ، والهندوسية » ، وقد كتب في أغلب هذه اللغات العديد من الكتب ، والعديد جدا من الابحاث في الكثير من الصحف الشرقية والغربية ، والقى العديد من المحاضرات . وقد تفضل وقدم الي ثبتا طويلا باعماله الفكرية العديدة المتنوعة .

لقد ولد جرمانوس في بودابست عام ١٨٨٤ . وكان - كما ذكر لي بنفسه - مسيحيا كلفيني المذهب . وقد درس في جامعة استنبول عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ، ثم في جامعة فيينا عام ١٩٠٦ ، وفي جامعة بودابست عام ١٩٠٧ . وكان قبل سفره للدراسة في استنبول مسجلا في جامعة بودابست بدرس فيها التركية والفارسية على يد المستشرق المجري ارمينيوس فامبيري ، ويدرس العربية كذلك على المستشرق الشهير انياس غولد تسيهر . وهكذا جمع جرمانوس بين معرفة ثلاث لغات شرقية عريقة هي : العربية ، والتركية ، والفارسية ، وكان لهذه اللغات الثلاث اثرها في اسلامه .

في التاسعة عشرة من عمره – عام ١٩٠٣ اقام مدة في تركيا ، واشترك في حزب سري اسمه « الاتراك الشبان » في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . وكانت الحكومة التركية تطارد الحركات السياسية المناوئة للمركزية . فقبض على جرمانوس في الشارع ، وسجن ١١ يوما ، وصدر الحكم عليه بالاعدام . ولكنه نجا من المشنقة بفضل تدخل السلطات النمسوية .

وفي عام ١٩٣٠ اعتنق جرمانوس الاسلام في مدينة دلهي في الهند ، واعلن ذلك في اثناء خطبة الجمعة التي القاها بنفسه في المسجد في صلاة الظهر ، واتخذ لنفسه اسم « عبد الكريم » . وكان ذلك بعد ان تعمق الرجل في دراسة الاسلام والتاريخ الاسلامي ، وكثرت رحلاته الى البلدان الاسلامية . هو الان العضو المسلم غير الحزبي الوحيد في البرلمان المجري منذ عدة سنين .

بعد اعتناق جرمانوس الاسلام عن عقيدة واختيار ، قرر الحج الى الديار المقدسة عام ١٩٣٤ . ومنذ ذلك اصبح يعرف باسم « الحاج عبد الكريم جرمانوس » . وفي الحجاز اتصل جرمانوس بالملك عبد العزيز آل سعود ، ونزل في ضيافته ، واصبح من اصدقائه المقربين . واتصل هناك برجال الفكر والصحافة المعروفين ، ومن بينهم حافظ وهبة ، وفؤاد حمزة ، وغيرهما . وفي رحلة الحج هذه كتب جرمانوس كتابه « الله اكبر » باللغة المجرية ، فلم يلبث الكتاب ان ترجم الى لغات غربية اخرى .

لقد تجول جرمانوس في العديد من اقطار الشرق والغرب ، وعمل استاذا ، ومحاضرا ، واستاذا زائرا في العديد من الجامعات ، في : المانيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، واسكندينافيا ، وتركيا ، ومصر ، وسوريا ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، والمغرب . وفي عام ١٩٣٩ دعاه الشاعر الهندي العظيم رابندرانات طاغور ليتولى كرسي الدراسات الاسلامية في جامعة « سانتينيكيتان » التي اسسها طاغور . وبقي جرمانوس فيها ثلاث سنوات ، أتيح له في خلالها ان يتنقل بين العديد من جامعات الهند – ولم تكن قد ظهرت حينذاك الباكستان كدولة مستقلة منفصلة عن الهند – ومنها جامعات : كلكوتا ، وحيدراباد ، ودلهي التي ذهب اليها استاذا زائرا .

اما جامعة بودابست فقد تولى جرمانوس فيها كرسي التاريخ الاسلامي منذ عام ١٩٢٠ ، وظل يحاضر في الثقافة الاسلامية والادب العربي حتى احيل على التقاعد عام ١٩٦٤ ، بعد ان بلغ الحادية والثمانين من عمره .

والى جانب المهام الدراسية والعلمية كان الاستاذ الحاج عبد الكريم جرمانوس ، ولا يزال الى اليوم ، عضوا في البرلمان المجري ، وفي الاكاديمية المجرية للعلوم ، وفي اكاديمية البحر المتوسط الايطالية ، وعضوا مراسلا في مجامع اللغة العربية في القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، وعضوا في الجمعية المجرية لليونسكو .

ولجرمانوس صداقات متينة مع اعلام الفكر والعديد من الزعماء في العالم العربي والعالم الاسلامي . وهو يتلقى العديد من الرسائل من البلدان العربية ، ويجيب عليها ، حريصا على استمرار صلته هذه وتقويتها ما استطاع . وهو يقرأ ما يصل اليه من الكتب من اصدقائه الادباء العرب ، ويكتب اليهم حولها ، او يعرف بها في الصحف . وبيته في بودابست مفتوح لكل كاتب ، او صحفي ، او سياسي عربي او مسلم يزور بودابست .

هذه الحياة الطويلة ، الغنية بالكفاح والعمل في خدمة الثقافة العربية والاسلامية كانت ثمارها غنية مثلها بالرحيق الطيب . وجدير بنا ان نقف قليلا لنرى اشياء من مؤلفات المستشرق الكبير ، ومن ابحاثه النفيسة المطولة في العديد من الصحف بمختلف اللغات ، ولا سيما ما يتعلق منها بالاسلام والثقافة العربية .

من هذه المؤلفات نذكر ما يلي :

١ – « الله اكبر – كتاب يشتمل على موجز في التاريخ الاسلامي ، وقصة رحلة المؤلف الى الحج . وقد ظهر الكتاب بالمجرية عام ١٩٣٦ ، ثم بالالمانية والايطالية عام ١٩٣٨ .

٢ – ابن الرومي – ظهر بالالمانية في بودابست عام ١٩٥٧ .

٣ – بين فكرين – ظهر بالعربية في دمشق عام ١٩٥٦ .

٤ – على خطى محمد – ظهر بالايطالية في ميلانو ، بايطاليا ، عام ١٩٣٨ .

٥ – مختارات من الشعر العربي ، من الجاهلية الى يومنا هذا – ظهر بالمجرية في بودابست عام ١٩٦٠ .

٦ – تاريخ الادب العربي – ظهر بالمجرية عام ١٩٦٢

٧ – رحلات ابن بطوطة – ترجمها الى المجرية ، وظهرت في بودابست عام ١٩٦٣ .

ولديه الان كتابان مخطوطان : احدهما بالالمانية ، وعنوانه « نهضة الروحانية العربية » ، والثاني بالانجليزية وعنوانه « الادب العربي في اميركا » .

اما دراساته وابحاثه المنشورة في الصحف فعديدة جدا ، ومتنوعة جدا ، والذي يهمنا منها ما يختص بالتراث الفكري العربي والاسلامي . ومن هذه الابحاث نذكر :

١ – القومية العربية – ظهر بالفرنسية في المجر عام ١٩١٨ .

٢ – الاساس اللغوي للوحدة العربية – بالانجليزية عام ١٩٥٠ .

٣ – مصادر الف ليلة وليلة – بالانجليزية عام

رائف يخاصمني

هذه هي القصيدة الثانية يكتبها الشاعر من أجل حفيده « رائف » ابن بنته « ذكاء » وقد ظهرت الاولى في « الاديب » لشهر اكتوبر ١٩٦٩

★

ماذا جنيت سوى ضم وتقبيل ... حتى تمنيت تعذيبي وتقتيلي
لئن نسيت لك الحلواء جاهزة ... من بعد وعد صباح فيك موصول
تبغي لي الهجر في قرب يعذبني ... وفي ذنوبي ما عذري بمقبول
القلب ، منك صغير ، كيف ضيقه ... يحوي الخصومة في بغض وتهويل
وقفت لي خلف باب الدار منتظرا ... جيبي المليئة من غال ومأكول
يا ويح قلبي وما أنسيت ما صنعت ... بي الخطوب لدن جاوزت مدخولي
لقد تمنيت عودا كي أجيء بما ... يرضي حبيبي ولو ضاعفت مبذولي
ولم أسغ في ظهير لقمة ، واذا ... بي ذاكر لعبة غنت بترتيل
هببت أحضرها ، فالطفل منطلق ... يسعى الي بتقبيل وتوصيل

أرى النفاق مع الانسان من صغر ... غريزة فيه تنمو بعد تحويل
كان الصغير يداجيني لاحمله ... وأترك الاخت تبكي دون مأمول

يا (رائف) الروح، راض منك ما طلبت ... منا الحياة على قبح وتجميل
لولا خصامك ما راق الوصال لنا ... ولا وجدت لحب طعم معسول
تركت اختيك في وجد ومحسدة ... لو تعرفان بشعر فيك مغلول
هما اللتان بتحنان أرى لهما ... حبا صراحا بطهر القلب مفسول

دمشق ... زكي المحاسني

١٩٥١ .

٤ ـ محمود تيمور والادب العربي المعاصر ـ بالانجليزية عام ١٩٥١ .

٥ ـ الجغرافيون العرب ـ بالانجليزية عام ١٩٥٤ . وقد ترجم فيما بعد الى العربية وظهر في مجلة «الوعي» في القاهرة .

٦ ـ اختراع اسلامي للكتابة للعميان ـ بالانجليزية عام ١٩٥٦ .

٧ ـ الادب العربي في اميركا ـ بالايطالية عام ١٩٦٧ .

٨ ـ الجهاد ـ بالمجرية عام ١٩١٤ .

وهذا في الواقع قليل جداً من ابحاث الاستاذ الحاج عبد الكريم جرمانوس في الثقافة العربية والاسلامية ، يقتضينا الواجب وعرفان الفضل لاصحابه ان نذكره الان مع التحية الى المستشرق الكبير ، الذي قدم من الخدمة لثقافتنا العربية خلال عمره المديد ما يستحق كل ثناء وتقدير وعرفان .

عمان ـ الاردن ... عيسى الناعوري

ولـدي

★ ★ ★

يستجد الشوق في الصدر الحنان ... ويبين الدمع ما يخفي الجنان
لك من قلبي اذا عز الحمى ... معقل طال وسيف وسنان
ولدي ما أنت الا منية ... عذبت لحنا ففناها اللسان
وكأني بك من طيب المنى ... ثمل طاحت به العمر دنان
بي من نجواك لحن مشرق ... وهوى كالجمر يذكيه الحنان

انت في قلبي وان دار نأت ... بيننا او شط بي يوما مكان
حلم رف جنيا يانعا ... منك في جفني فمسته البنان
وبقلبي من أقاصيص الهوى ... سور تتلى وشعر وبيان
أنا ان أغمضت جفنا للكرى ... من عياء هب يرعاك الجنان
رب راع لك من قلبي هفا ... قائما والليل ألحان حسان
يبصر القلب جليا ما خفى ... من دقيق حين لا يغني العيان

أجد الدنيا على علاتها ... بك جنات وان جار الزمان
ويهون الصعب حتى يستوي ... بك في الحالين قسر وليان
لم اكن قبلا لأنسى ترة ... عن مسيء وبكفي سنان
كنت أجزي الشرّ بالشر ولا ... أستطيب السلم ان جد الطعان
فتراني اليوم ابكي ظالمي ... من حنان ويدي الدهر امان
تسع الرحمة ما ضاق به ... جامح الاهواء والقلب الجبان

دمشق

عدنان مردم بك





بقلم المحامي محمد رؤوف بشير

انه جدي ... اجل فانا اعرفه تماما ، بقامته النحيلة الفارعة ، ووجهه المتغضن ويديه المعروقتين ، وشعره الابيض كقطع الثلج ، ووقاره المحبوب .

كان الليل يبدو خلال النافذة اسود حالكا ، وحبات المطر تضرب الزجاج بايقاع موسيقي منتظم ، وانا وحيدة في غرفتي الصغيرة أدرس في أحد الكتب المكدسة امامي فوق الطاولة ، كنت اشعر ان كل شيء في مكتبي الجديد على ما يرام ، اثاثه البسيط ، ترتيبه ، والهدوء الذي يشيع في جنباته .

وفجأة قطع علي حبل دراستي شيء غريب ظننته لاول وهلة شبحا ، فاذا به جدي وقد جاء يتسلل الي كعادته عندما كان يمل من وحدته أثناء غياب افراد الاسرة ، وجلس امامي في ركنه المعهود قريبا من الموقد وابتسامته المشرقة تعلو ثغره فتضفي على وقاره نقاء وعذوبة مستملحة .

جلس جدي ، وطالت جلسته دون ان ينبس ببنت شفة ، وكأن رباطا غريبا يشده الي الصمت المرير الذي كان يخيم على الغرفة ، وعجبت لحاله وسكوته وهو الذي اعتاد ان يضفي من روحه المرحة وقصصه الظريفة ، ونقده الساخر المحبوب على كل مجلس وفي كل مناسبة ما يشيع البهجة والحياة .

... لا ... انا متأكدة انه جدي ، وواثقة من انه يصعب عليه هذا السكوت القاتل ، لكن هل سيتكلم ، يتحدث من جديد ؟ انني اخشى ان لا يفعل ، فانا ادرك اليوم انه لا يستطيع ...

فبالامس البعيد ، امس شتوي بارد ، كان المطر ينهمر بغزارة ، والريح تعصف بشدة وبضع سيارات تتسلق الطريق الموحلة الى قرية نائية وفي احداها كان جدي .

لم يكن جالسا ، كان وقورا ذا مهابة وجلال ، وابتسامته العذبة كما هي ما تزال تشع الغبطة في وجهه النير .

ونظرت اليه كعادتي ارجوه ان يروي لي قصة جديدة ، ولكنه لم يفعل بل اعتصم بالصمت ، وتحولت نظرتي اليه من رجاء الى استعطاف .

هل هو حانق علي ، غاضب مني لامر اجهله ؟ ... لا .. فانه لا يزال يبتسم ، حتى ظننت انه سوف يضحك بملء فيه ، حسبنا انه راض ، وهذا شيء جميل يطمئن البال ، ويثلج الصدر .

ما تزال الريح تلفح وجوهنا من النافذة الصغيرة قوية باردة ، والمطر يضرب بشدة جوانب السيارات وهي تزحف وئيدة على الممر الجبلي الموحل في طريقها الى قريتنا الغارقة وسط لجة من الريح والمطر والظلام .

وبعد قليل سمع عواء جرو صغير ، وخوار بقرة ، وثغاء بضع نعاج لقد وصلناها اذن وها هي اضواؤها الباهتة تلوح كيراع صفار في ليلة ليلاء ، واقبل أقرباؤنا يتراكضون نحو السيارات انهم جماعة من الفلاحين الطيبين ، قوم سذج بسطاء ، يحبوننا كثيرا ، ويحترمون جدي كثيرا ، كانت صيحاتهم الفرحة المهللة تسبقهم الينا ، وها هم يقتربون منا شيئا فشيئا .

حملقوا في وجوهنا ! وقفوا لحظة مذهولين ! ما بالهم قد سكتوا هم ايضا ؟ هل صاب الوجود نوبة من السكوت ؟ ليتكلموا ليقولوا شيئا ، ليرحبوا بنا كعادتهم بل كما كانوا يفعلون منذ قليل وقبل ان يدركونا .

وفجأة دوى صوت غريب ، لم يكن ضحكا ، ولا بكاء او نشيجا ، كان خليطا من صيحات بلهاء لا معنى لها — عندي على الاقل — ومرت تلك الليلة قاسية ، كئيبة ، ثقيلة ، ضاق بها صدري حتى خيل الي انها لن تنتهي ابدا .

وماتت تلك الليلة اجل انها ماتت فانا اعرف اليوم ان كل شيء يمكن ان يموت ان يسير الى العدم ، الى الزوال ، حتى شمس ذلك اليوم المشرقة ، والارض التي جف وحلها ، وقطرات المطر العالقة بالعشب الصغير وهي تتلألأ صائرة ايضا الى الزوال تماما مثل جدي الضاحك اللطيف المحشور في هذا الصندوق الذي يسير خلفه الناس وقد سموه نعشا لاسباب لا بد وانها وجيهة جدا .

النعش الحبيب فوق الاكف ، يمشي خلفه جمع غفير بخشوع وهدوء ، يمزقه بين الفينة والفينة شهقة بكاء ، او نشيج يختنق في الحنجرة ، اوكلمات قليلة مبهمة، ما تلبث ان تموت هي ايضا بين شفتي صاحبها .

وشيئا فشيئا اخذت تتضح معالم المقبرة ، انها تقع على تلة صغيرة يخترقها طريق يوصل الى البئر الذي ترتوي منه القرية ، بينما ينحدر على جانبيها واديان صغيران وتشرف عليها من بعيد سلسلة من الهضاب المرتفعة .

لقد كان كل شيء فيها كما ارتسم في مخيلتي الصغيرة عندما زرتها اثناء العطلة الصيفية ، كل شيء الا عري الاشجار ، والتماع مياه الامطار فوق الصخور وهي تعكس نور

الصوت والاصداء

اطل في الافق صوت ... ينساب منه العطاء
فاقلعت تترامى ... من حوله الاصداء
ترف بالهمس آنا ... فتستفيق السماء
تصحو فيصحو طليقا ... فيها السنى والصفاء
وربما يتلوى ... صدى غناه الشقاء
فيسأم الكون منه ... ان هده الاعياء
حتى اذا ما تلاشى ... وهوم الاصفياء
وابحر الصمت تيها ... وزاده الاشياء
يمر في كل درب ... من الحياة نداء
اني سلكت سبيلا ... ما سار فيه الخفاء

النجف ـ العراق ... محمد رضا آل صادق

الشمس فقد كان منظرها شيئا جديدا ظلله بالسواد شعور غامض من الكآبة والحزن .

وقف الجميع ، التفوا حول بقعة صغيرة بعد ان انزلوا النعش ، حاولت الاقتراب والتطلع ، ولكنهم منعوني ـ حتى عمتي الحنون ـ انه شيء مخيف ، مرعب يجب ان لا اراه وان لا اعرفه ...

فأنا طفلة صغيرة ، وهناك هوة سحيقة موحشة حيث يذهب الناس ولا يعودون ابدا ، ابدا ، لن نراهم من جديد ، وعجبت لهذا ! ..

لا ... أن جدي سيعود ، اجل تماما كما يعود من المقهى كل مساء حاملا معه الهدايا اللطيفة والقصص الحلوة .

ووقفت مذعورة ، انهم يهيلون التراب والاحجار على النعش الجميل ، وحاولت ان أصيح فيهم جميعا ـ حتى ابي ـ لكي يتوقفوا ، ولكن الصيحة ماتت في فمي الذي بقي مفتوحا ببلاهة ، وبكيت ، دموع غزيرة انحدرت ، انهم يكثرون من التراب ، مسكين هذا الجد الظريف سوف يجد صعوبة كبيرة في ازالتها .

والان انتهى كل شيء على ما يبدو ، صوت الحجارة والتراب ، والكلمات الغامضة ، وعاد الجميع .

كانوا يسيرون بخشوع وهدوء غريبين ، لا شيء البتة ، لا كلمات مخنوقة ، ولا حتى نشيج او بكاء ، انهم يسيرون فقط ، يعودون من حيث اتوا ، لا أحد يلتفت الى الوراء كما فعلت انا ... الصغيرة ، انهم كبار ولا ينتظرون ان يعود جدي ، فقد مات ، اجل مات كما فعلت امي بعد ولادتي بأيام ، ـ هكذا قيل لي ـ فقد تركتني في عالم الاحياء لا شيء سوى روح صغيرة في لفائف من الخرق البالية ، لقد ماتت هي ايضا فهل سوف انتهي مثلها ؟ وهل سوف ينتهي كل شيء ؟ انني اشعر بثقل في رأسي ، ودموع في عيني ، واذناي يدق فيهما طبل مجنون ... مات .. مات .. مات .. الجمع الغفير يدور ، البيوت .. الهضاب .. وكل شيء .. مات .. مات .. وعندما فتحت عيني كنت لا أزال اشعر بثقل في رأسي وابتسمت عمتي :

« لقد اصابها شيء من البرد وجو القرية لا يناسبها » .

قالت احدى النساء :

المطر ما يزال ينهمر بغزارة ، وحباته تضرب زجاج غرفتي الصغيرة فيشيع في ارجائها موسيقى حزينة . وكل شيء كما كان منذ لحظة ... الاثاث البسيط .. والهدوء المخيم ، حتى نار الموقد ما تزال السنتها تتراقص في ضعف وفتور ، كل شيء ما عدا اثنين فقد تبدلا ، كتابي الذي كنت ادرس فيه فقد انكفأ على الطاولة امامي ، وجدي الذي كان يتسلل هاربا من الصمت العميق .

حلب ... محمد رؤوف بشير

اغنية عند البحر

صباح الدين كريدي

حلب ـ سورية

حبيبتي ، وانت في بيروت
توجهي للبحر ، لقلبه المليء بالاسرار
بوجهه الصموت
ورفرفي كنورس مهاجر صغير
خوضي غمار الموج
تراكضي ، تراقصي ، تدحرجي على الرمال
تضاحكي ، تضاحكي من اعمق الزوايا
واطلقي الشراره ، أغنية عظيمة قويه
كالبحر ، كالاله ، كالانسان
كالريح عبر غابة القصب ، كالنار في القصب !

كوني غناء الطير والاغصان والطيور
كوني اندفاع الموج والامواج والصخور
كوني لقاء طالعا من ظلمة الفراق

•

كوني هتاف البحر لي ..
كوني هدير الموج بي ..
كوني عطاء البحر لي جنية صبيه
تخرج من محارة في شاطىء منسي
نقية كلؤلؤه ، مشرقة كزنبقه
رائعة كحلم وردي
تدور في الهواء .. تطير في الهواء
تجيئني ، تضحك في عيوني
تضعني مواجها لِ ـ الحب
آخذها .. تؤود في يميني ،
تمتد مثل البحر عند صدري

•

ألمسها ، اشمها ، اضمها
تفرد فوقي شعرها المعطر الطويل
تجعل منه الفرش والغطاء والوساد
ألصقها بصدري
تلفحني من فمها انفاسها السريعة الدفيئه
ينسحب الزمان والمكان من خيمتنا الصغيره
أهمس عند فمها ، مرتعشا ، بالحب
تهمس لي انفاسها بالحب
تمضي معي رشيقة ، راغبة ، حيية للحب
ندخل في العوالم الغريبه
نقطف من اشجارها ، نرشف من مياهها
تسحرنا العوالم العجيبه
فلا نعود ، ولا نموت !!



نقولا يوسف

علي العزبي شاعر دمياط

بقلم نقولا يوسف

* * *

اعتاد مريدو هذا الشاعر العربي وتلاميذه ان يطلقوا عليه لقب « شاعر دمياط » مع ما انجبت هذه المدينة العتيقة في شتى عصورها من شعراء مبرزين كثيرين غيره .. ويرجع ذلك فيما يبدو ، الى ان علي العزبي لم يبرح مسقط راسه هذا طيلة حياته ـ نحو ستين عاما ـ الا فيما ندر .. وكانت بلدته المسرح الرئيسيُّ الذي مثل عليه أدواره ، شاعرا وخطيبا ومعلما وصحفيا ، وجلها ادوار متصلة بحياة المدينة وحاجياتها واهتماماتها واهتمامات أهلها في عصره .. وقد نجم عن ذلك أن حصرت شهرته وتقديره في حياته وبعدها ، بين اهل اقليمه ، وان كان قراء شعره من بلاد اخرى قد عرفوه من الصحف والمجلات .. ولم تعرفه الا قلة من الجيل الحديث لان ديوان أشعاره المنشورة والمخطوطة لم يجمع بعد فيتداوله القراء والنقاد .. ولعله يجمع وينشر في يوم قريب ..

وقد ولد الشاعر علي العزبي عام ١٨٨٣ (وقيل قبيل ذلك) بدمياط المدينة القديمة الجاثمة عند مصب النيل الشرقي شمالي الاقليم المصري ، وبها قضى حياته ، وبمدارسها تعلم وعلم .. وبها انشأ معهدا للتعليم ، ونظم الشعر وكتب وخطب ، واسهم في شؤون بلده الاجتماعية والثقافية ، حتى فارق دنياه يوم ٩ من يناير عام ١٩٤٢ ، ودفن في ثراه ..

وكان والده « علي العزبي » تاجرا للفلال ، حيث يشتغل سكان الاقليم بالتجارة والملاحة والصناعة منذ قديم الزمان . غير ان الموروثات هناك من الثقافات الدينية والادبية عن شيوخ المساجد والمعاهد ، والادباء المبرزين على توالي العصور ، وما حبته به الطبيعة من صور حسناء ، وجو معتدل وهدوء وصفاء ، كانت من العوامل التي انبتت مواهب ذلك العدد الوافر من الفنانين والشعراء والفقهاء في تلك المنطقة ، وكان منهم شاعرنا العزبي ...

فما ان تلقى الصبي علي العزبي مبادىء التعليم في احدى المدارس الاهلية ببلده ، ثم راح يتردد على معهده الديني مستمعا الى شيوخه في غير انتظام ، حتى تبين له ان حرفة الادب ادركته ، ولا سبيل له الى غيرها .. فاتجه الى المهن التي لا تبعده عن ميوله الادبية كالتعليم والصحافة ...

وبدأ منذ فجر شبابه يعلم بالمدرسة الإبتدائية الاهلية التي أنشأها مواطنه «علي الحزاوي» عام ١٨٧٣ وسماها : « مدرسة الفتوح الرباني » وكانت من أقدم مدارس المدينة ، وبها تلقى عدد كبير من اهل المدينة تعليمهم الاول ، ومنهم الشاعران المعروفان : علي الفاياتي (١٨٨٥ ـ ١٩٥٦) صاحب « منبر الشرق » ، ومحمد مصطفى الماحي (١٨٩٥) (١) واشتغل علي الفاياتي بالتدريس فيها فترة من الزمن ، مزاملا شاعرنا علي العزبي .. ثم استقل بهذه المدرسة منذ عام ١٩٠٢ المرحوم محمد الحزاوي حتى وفاته عام ١٩٢٥ ، في حين انشأ شقيقه علي الحزاوي مدرسة اخرى سماها : «المدرسة النظامية» وظل يديرها حتى وفاته .. ولم تزل « مدرسة الحزاوي» القديمة عامرة الى اليوم باشراف الاديب الصحفي « زكريا محمد الحزاوي » صاحب جريدة « اخبار دمياط » ..

ثم رأى شاعرنا العزبي ان ينشيء مدرسة خاصة يطبق بها مبادئه التربوية والادبية فافتتح عام ١٩٠٦ « مدرسة شمس الفتوح » ، وظل يشرف عليها بقية حياته . ولم تزل هذه المدرسة باقية هناك الى اليوم .

وكان في مقدمة التجديدات التي ادخلها العزبي بمدرسته في ذلك العهد وضع الدين واللغة العربية مادتين أساسيتين في الدراسة . وكان لحرصه على تنشئة تلاميذه على حب الادب والشعر ان اصبح مستوى تعليم العربية رفيعا في معهده .. ثم اضاف الى المنهج مادة « الحسابات التجارية ومسك الدفاتر » لما رأى حاجة تجار بلده وموظفيهم الى الالمام بهذه المعرفة الحديثة، وانتفع عدد من الشباب بها في أعمالهم التجارية والادارية ...

ثم قسم معهده الى فرعين ، فرع لتعليم البنـين ، واخر لتعليم البنات على ان يكون التعليم « مشتركا » بين الجنسين في الفرق العليا . وكان بذلك سابقا لزمنه فـي هذا « التعليم المشترك » الذي يأخذ به اليوم الكثير مـن المدارس العربية الاعدادية والجامعات ...

كما انشأ عام ١٩١٠ جمعية ادبية دعاها : « جمعية التربية الحقة » ، وجعل مدرسته مركزا لنشاطها. وهناك في بعض الامسيات وليالي الجمعة ، كان يقيم النـدوات الادبية . ويدعو الجمهور للاستماع الى المحاضرات والخطب والمناظرات ، والى قصائد الشعر التي يلقيها تلاميذه ممـن يدربهم على النظم والخطابة والالقاء . ثم حدث في اوائل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) ان عطلت سلطات الاحتلال هذه « الجمعية » على زعم ان رئيسها علي العزبي ـ وهو من انصار مصطفى كامل والحزب الوطني ، كان معدودا بين الوطنيين المتطرفين المناوئين للانجليز المحتلين ـ فمـا ان انتهت تلك الحرب وشبت ثورة ١٩١٩ حتى عاد شاعرنـا الى نشاطه السياسي بخطبه وقصائده ومقالاته الصحفية ، داعيا الى الجلاء والاستقلال ..

وكان قد الف ايضا في معهده فرقـة للتمثيـل ، ومسرحا يمثل عليه تلاميذه الروايات المسرحية ويلقـون الاناشـيد ..

وفي مدرسة العزبي تتلمذ عليه عدد من الناشـئة الادباء الذين دربهم منذ صباهم على نظم الشعر والقائه في المحافل ، بحيث كان أيضا صاحب مدرسة شعرية في أقليمه ، وكان منهم الشعراء : طاهر الحبلاوي (١٨٩٨) ، وطاهر الطناحي (١٩٠٣ ـ ١٩٦٧) ، ومحمود عبد الحي (١٩٠٤) ، وامين المعداوي (١٩٠٢ ـ ١٩٥٧) ، وفهيم القللي (١٨٩٦ ـ ١٩٥٩) ، واحمد احمد عبد المجيد (١٩٠٨) ، والبدري محمدين (المتوفي عام ١٩٥٥) ومحمد منيعم (المتوفي عام ١٩٢٣) ، ومحمد كـامل جـبر .. وغيرهم من شعراء دمياط ..

بينما كان يزاملهم خارجها شعراء اخرون من تلاميذ مدرسة الحزاوي او غيرها ، وينضمون الى النـدوات ، ومنهم : علي الفاياتي ، ومحمد مصطفى الماحي ، ومحمـد الاسمر (١٩٠٠ ـ ١٩٥٦) ، وحسـن كامل الصيرفـي (١٩٠٨) ، وطاهر ابو فاشا (١٩٠٨) ، وطـه عبد الفتاح (المتوفي ١٩٥٧) ومحمدمحمد عبد الـرازق (١٨٩٥ ـ ١٩٣٥).

ويروي الكاتب الشاعر المرحوم طاهر الطناحي شيئا من ذكريات صباه في مدرسة علي العزبي ، وتأثره بهـذا الشاعر ، فيقول : (٢)

« كنت في صباي اتعلم في مدرسة ابتدائية ببلدتي دمياط ، تدعى « مدرسة شمس الفتـوح » لصاحبهـا الشاعر المجيد علي العزبي . وكان هذا الشاعر ـ احسن الله اليه ـ ينظم الاناشيد والقصائد المدرسية والقوميـة في مناسباتها ، ويجيد الالقاء نظما ونثرا كأحسن ما يلقي الشعراء والخطباء . وكنت مع اثنين من زملائي الفرسان الاطفال الثلاثة الذين يختارون لالقاء بعض القصائد الوطنية ، والاناشيد القومية ، في حضرة زائر كبير ، او مفتش قدير من مفتشي « وزارة المعـارف العموميـــة » ، او لقيادة التلاميذ في اناشيدهم المدرسية التي ينظمها علي العزبي في سهولة وقوة .

وكان هذا الناظر الشاعر نابغة دمياط في الشعر . وهو شاعرنا الاول ، بل « شاعر مصر الاول » في نظرنـا في ذلك الحين ! وكان يشتد علينا في حفظ القصائـد والاناشيد ، واجادة القائها في هذه السن الصغـيرة ..

وكان للشاعر علي العزبي صلة بشاعر النيل حافظ ابراهيم والشاعر امام العبد . وطالما كان يراسلهما ويراسلانه ، ويداعبهما بالشعر ويداعبانه . وهو في قمةمعانيه وفصاحة الفاظه اقرب اليهما من سائر الشعراء . ولكنه كان يميل في بعض شعره الى انواع البديع . واذكر جناسه وتوريته في غزله قوله في حسناء :

جنت وجنيت الورد من وجناتهـا فقالت من الجاني؟ فقلت انا الجاني

« وكان القاء هذا الشاعر لا يقل قوة وجودة عـن لقاء حافظ ابراهيم . بل كان صوته ارق واجمل من صوت شاعر النيل . فكان تأثيره في شـباب دمياط اقـوى تأثـير ! » .

ويروي الشاعر محمود ابو الوفا في بعض ذكرياته ، كيف جاء الى دمياط من قريته بمركز اجا ليلتقي بعلي العزبي ، فالحقه طالبا في المعهد الديني ومعلما بمدرسته وظل بدمياط ثلاث سنوات (١٩١٦ ـ ١٩١٩) يتعلم ويعلم في رعاية هذا الشاعر ،ويقول : (٣)

« غادرت قريتي الى دمياط لسببين الاول : اننـي تخيلت دمياط وقتذاك اقصى المعمورة ! وليس من المعقول ان يطرقها واحد من قريتي ! والسبب الثاني ان بهـا شاعرا اسمه علي العزبي كنت اقرا شعره على البعـد ، وكنت معجبا به اعجابا تخيلت معه انه ولا بد سيبادلني هذا الاعجاب بالاحتضان وتهيئة الحياة لي وتحقـق مـا توقعته . احتضنني الرجل فعلا ، وادخلني معهد دمياط الديني ، والحقني بالعمل مدرسا بالمدرسة التي كان ناظرها وصاحبها . ووجدتني اعيش وابعث الى اسرتي بما يقيم اودها ويحفظ عليها الحياة .. » .

وتحدث تلميذه الشاعر الدمياطي محمد كامل جبر عن شخصية العزبي معلما ومربيا : (٤)

« .. كان في كل نواحي شخصيته مدرسة تأثر بها وافاد منها كل من قيض له ان يتعرف اليه عن قـرب او بعد . وتشاء الاقدار ان تختار له المجرى الذي ينسـاب فيه فضله وعلمه ، فلا تختار له الا مهنة التربية والتعليم ، وهي المهنة التي اذا امتزجت بالشخصية القوية ، لـم تدع تلميذا تلقى عنها الا اثرت فيه وطبعته على غرار موسم

بسمتها . وهذا هو السر في ان كثيرا ممن كانوا يخالطون هذا الرجل ، لم يكونوا يتأثرون بقوة خلقه او ينطبعون بطابع ادبه فحسب ، بل كانوا اكثر من ذلك يقلدونه في حديثه وتعليقاته » ..

ويعود الى وصف خلق هذا الشاعر المعلم :

« كان سهلا ويسيرا على من يراه ويتحدث اليه ان يؤمن بما لشخصه من قوة ، وقدرة ممتازة ، وكان فوق ذلك يملك ثروة من الخلق امتدت بها اسباب المجد والعظمة ، اما تواضعه فقد بلغ به ابعد مبلغ من الحب والتقدير .. وكان صارم المنطق ، جريء القلب ، رقيق الشعور ، بليغ اللسان ، سريع الخاطر ، عفيف النفس . بل لقد كان آية في احاديثه المتدفقة الممتعة . وكان لا ينفر من لقاء الناس ، ولا ينقبض عن مجالستهم ، ولا يبرم بلقائهم والتبسط معهم . فلقد كانت نظرته تهديه الى المسالمة والرفق » ..

ولئن كان شاعرنا العزبي قد احترف التعليم معظم حياته ، وانشأ له ذلك المعهد للاستعانة على العيش ، فقد اشتغل ايضا بالصحافة والكتابة منذ شبابه ، منقادا الى نزعته الادبية . وظل ينشر قصائده الوطنية والوجدانية والاجتماعية ، ومقالاته وتعليقاته في الصحف اليومية والمجلات الادبية خارج مدينته ومنها : اللواء ، والشعب ، والمنار ، والهلال ، وانيس الجليس ، والمفتاح ، وفتاة الشرق .. وغيرها من الصحف التي عاصرها واحتجب اليوم اكثرها ، وبها عرفه قراؤها .. ولم تزل آثاره القلمية هذه مطوية في مجلدات تلك الصحف تنتظر البعث والنشور ...

وعندما اصدر مواطنه « محمد عطية الحرايري » جريدة « دمياط » الاقليمية الاسبوعية عام ١٩٣٦ ، عاونه علي العزبي على تحريرها واصدارها ، بل كان في الواقع « رئيسا لتحريرها » والروح المهيمن عليها .. واخذ يكتب بها ، وينشر شعره على صفحاتها منذ صدورها حتى يوم وفاته (١٩٤٢) ثم ورث بعده هذا الاشراف على تحريرها واخراجها تلميذه زكريا الحزاوي ، الذي كان يتمرس بالصحافة ويتدرب على يدي علي العزبي ، فثابر على اصدارها وتطويرها حتى عام ١٩٤٩ حين تركها وانشأ صحيفته الاسبوعية الجديدة : « اخبار دمياط » التي ما برحت تنشر هناك في انتظام الى الساعة ، يعاونه على تحريرها عدد من ادباء دمياط المعاصرين ...

غير ان موهبة العزبي الشعرية التي عرف بها في اقليمه وخارجه ، طغت على سائر مواهبه واعماله – معلما وخطيبا وصحفيا – فلم يعد يذكرها غير القلة من مواطنيه وتلاميذه .. ثم كان لاحتجاب قلمه طوال تلك السنين التي اعقبت وفاته ، ولتوقف جمع آثاره القلمية وفي مقدمتها ديوان اشعاره ، وطبعها ونشرها ، ما حال بين قراء الجيل الحديث ونقاده ، وبين التعرف على الشاعر وشعره .

لقد خلف الكثير من قصائد الشعر المنظومة في شتى الاغراض كالشعر الوطني والسياسي ، والوجداني والعاطفي ، والديني والفلسفي ، ثم الشعر التقليدي في قصائد المناسبات والمساجلات والمداعبات ، في المدح والرثاء والغزل والعتاب .. فقد كان الشاعر مرتبطا بعصره وظروفه ، وبتقاليده وملابساته .. ونشأ في زمن يحتذى شعراؤه من تقدمهم من فحول الاقدمين والمحدثين في قوالبهم واسلوبهم ، وكان العزبي كما يدل اسلوبه العربي المكين ، مطلعا على الكثير من الشعر القديم والحديث ، وكان في مقدمة المحدثين الذين تأثرهم : البارودي وشوقي وحافظ ابراهيم .

ويصور لنا بعض تلامذته من شعراء دمياط ، شعره كما عرفوه في صحبته وقد اصبح الكثير منهم من المجلين في هذا الميدان ، فيقول الشاعر طاهر ابو فاشا : (٥)

« .. وكان علي العزبي بعد هذا وقبل شاعرا جهيرا في دمياط يملأ الاسماع والعيون ، ويصدو شعره في طبقة لا بأس بها من الشعراء المحفليين . وكان حسن الالقاء ، يرفع شعره بالقائه درجات . فيروج شعره بين الجماهير رواجا منقطع النظير . وكان وفيا في اول الامر ، وله في سعد زغلول مأثورات . فلما انقلب على الوفد غفر له شعره ، ولم يلق من أذى الكافة ما لقيه غيره ، بل تقبلوا ما كان ينظمه ويكتبه . واعتبروه من باب احسن الشعر اكذبه ! والعزبي صاحب المدرسة الشعرية التي تخرج فيها البدري محمدين ، وفهيم القللي ، وامين المعداوي ، وطاهر الجبلاوي ، ومحمود عبد الحي .. وغيرهم من شعراء دمياط الاحياء والاموات .. »

ويقول تلميذه الشاعر محمد طاهر الجبلاوي : (٦)

« كان الشعر يتعثر على يد الشباب ، ويمشي على عكازين في يد الشيوخ حين ظهر علي العزبي . ولا اعرف من شعراء دمياط المجيدين احدا يصح ان نسلكه معه في الحقبة التي ظهر فيها ، غير شاعرين هما : حمدي النشار ، وعلي الغاياتي والاول رحل الى الاسكندرية وعاش فيها . وكان ينشر شعره في مجلة « الملاجيء العباسية » التي كانت تصدرها « نظارة الاوقاف » . والثاني انتقل الى القاهرة ، وكان ينشر شعره الوطني في جريدة « اللواء » . اما علي العزبي فأقام بدمياط ولم يبارحها . وكان شاعرها المرموق قرابة نصف قرن من الزمان لا يقام حفل الا دعي للكلام فيه ، وكلامه كله شعر . رأيته يلقي قصيدتين في حفلتين للمولد النبوي الكريم في

---

(١) يروي الشاعر محمد مصطفى الماحي بعض ذكريات صباه بمدرسة الحزاوي (١٩٠٤ – ١٩٠٦) في ملحق ديوانه ١٩٦٨ ص ٤٤٢ .
(٢) طاهر الطناحي « كتاب شوقي وحافظ » – كتاب الهلال مايو ١٩٦٧ ص ١٥ . (٣) من مقالة عن محمود ابو الوفا بمجلة « قافلة الزيت » .
(٤) جريدة « أخبار دمياط » ١٧ يناير ١٩٤٩ . (٥) « اخبار دمياط » في ٢١ اكتوبر ١٩٦٣ . (٦) « اخبار دمياط » في ٣٠ يوليه ١٩٦٢ .

الاخطل الصغير

أغمضت عينيك في بطء وفي خدر ... ففاض سحر الرؤى من وجهك النضر
ورحت للملأ الاعلى الى سفر ... للخلد في موكب في الغيب مستتر
ونفحة الشعر مذ ووريت في جدث ... تركتها في متاهات من الضجر
ترود لبنان تبغي منزلا عرفت ... فيه فتى عاش من نجواه في سهر
عند العشيات ترتاد الربى وعلى ... جبينها ومضات التيه والكدر
تهيم في كل واد كان يطرقه ... وتسأل النجم عن مأواك في السحر
وفي يديها تراتيل موقعة ... من وحي قيثارة مسحورة الوتر
حتى اذا ما تلظى في جوانحها ... طول التساؤل بين الارض والقمر
عادت الى خدرها المعهود واجمة ... فاسدلت فوقها سترا ولم تطر

وران صمت على وادي العقيق فلا ... غنت به شاديات البدو والحضر
والمنشدون بليلات الهوى سكتوا ... عن الغناء فدب الصمت في السمر
والارز كم سائل الصفصاف في سحر ... عنه وللرعد تسئال وللمطر
ان الطبيعة تبكيه وتندبه ... رياحها في ظلام الليل في الشجر
واعمق الحزن احساس وعاطفة ... ذابت من القلب وانسابت على وتر

أوفى على الملأ الاعلى وفي فمه ... ما اودع الشعر من آياته الكبر
واستقبلته عذارى الخلد مشرقة ... بالورد والنغم النشوان والزهر
وسار في ركب (هوميروس) مبتدعا ... الياذة رددتها الحور في زمر
حسب الخلود وحسب الشعر ملحمة ... تروى على مسمع التاريخ في العصر

البحرين ... احمد محمد آل خليفة

ليلة واحدة . وكانت المنافسة كبيرة بين المحتفلين بالمولد، فلم يشأ ان يفضل فريقا على فريق حين دعي لحفلين ، والقى قصيدتين في طبقة واحدة من الجودة .

فلما قامت ثورة الشعب سنة١٩١٩ كان يعاني مرضا شديدا الزمه الفراش بضعة اشهر . وقد تكونت مظاهرة كبيرة في دمياط تهتف بالحرية والاستقلال ، وسارت في شوارع المدينة حتى وصلت الى منزل الشاعر فوقفت ، وعلا صوت المتظاهرين تحت شرفته يطالبونه ويناشدونه الكلام ، فاطل عليهم والقى بضعة ابيات من قصيدة كان قد نظمها وهو على فراش المرض ومطلعها :

يا شباب الحمى وخير الشباب ... انقذوا مصر من نيوب الذئاب

وتولى احد الشباب القاء باقي الابيات .. »

ثم يقول :

« فلما أبل العزبي من مرضه كان النجم البازغ في سائر الحفلات الوطنية ، ويسير في شعره ببساطة وسهولة لانه كان يخاطب الجماهير . ولكنه مع ذلك لا يتنزل الى درجة تخالف ما طبع عليه من الاجادة .. اذا رايته وهو يلقي قصيدته ، شغلك بحسن طلعته وسمته الوقور ، وصوتهالعذب ، فاستسلمتله بسائر احاسيسك وان كنت ممن لا يتذوقون الشعر . على ان الشاعر كان يعرف كيف يؤثر على الجمهور ، ويفطن الى المواطن التي تستهويه . وكان كثيرا ما يضمن قصيدته آية قرآنية مثل قوله في الدعوة الى انتخاب النائب الصالح للنيابة :

ولا تثق بمن يخون الحمى ... ببدرة او رتبة او وسام
ويشهد الله على ما ... في قلبه وهو الد الخصام .. »

ونظم في أثناء مرضه قصيدة جاء بها :

والذي يحسد في ميتته ... من يلاقيها على غير انتظار

ثم تحقق رجاؤه حين مات على غير انتظار (في ٩ من يناير ١٩٤٢) .

ومن شعره في فلسفة الحياة والموت بأحدى مراثيه :

خلود وهل للصالحات فناء ... وموت وهل للحادثات بقاء ؟
وكون مليء بالغموض وانما ... له الفاجعات الرائعات جلاء
رأيت الورى ركبا سراعا لموعد ... على انهم عند الظنون بطاء
وعيش الفتى ما لم تزنه محامد ... بوار وايام الحياة هباء
ولله سر في الخليقة غامض ... لديه استوى الجهال والعلماء

الاسكندرية ... نقولا يوسف

شرفات النور

ولـدوا فـي عاصف الريح ، وفي قهقهات المـوت ٠ ابطالا عظاما ٠٠
ولقـد تسكـر ازهـار الربـى في جنون الشوك ٠٠ عطرا وغـراما
ورنين القـفر ، ينداح هـوى نبوي الشوق ٠٠ يأبـى ان يضـاما
ولقـد ينجب عملاق الـدجى من سنى الفجر ٠٠ حساما، وحساما

حدق التاريخ ٠ شدت طـرفه ٠٠ غربة ٠٠ تشمخ صمتا ٠٠ واقتحاما
حملوهـا فـي رؤى اهـدابهـم أدمعا ثكلـى ٠٠ واطفالا يتـامى
وتـرابا ، طـاهـرا ، دنسـه غاصب ٠٠ ينتهـك الارض الحرامـا
وشهيدا ٠٠ شـرب النـور عن الـ ـغربة المرة ٠٠ والعار ٠٠ فطـاما
حملوها ٠٠ حملـوا الحق وللـ ـحق ان يعلو انطلاقا ، والتحامـا

كلمـا الشمس ارتمت فـي مقلـة نفض المـوت فـدائي ٠٠ وقـاما
لـم يـزده المـوت الا روعـة وجليـد المنتـأى ٠٠ الا ضـراما
بعثـوا مـن مـوتهم ٠ وانتفضـوا مثلمـا يصطخب البحر اضطرامـا
اي حلبـان ٠٠ علـى اكتـافهـم تـزرع الاهـداب حبـا ، وسـلاما
أنهـر تضـرب وجه الريح ـ والريـ ـح تشتـد اتقادا ، واحتـدامـا
نسكب الخصب ٠٠ فيـا صحراءنـا مـوجي في أعين الرمـل الغمـامـا
واعصـري لفـح الاسى ٠٠ أغرودة تفسـل الآفـاق ثـأرا ، وانتقـاما

شرفاتـي ٠٠ للعصافير ٠٠ وللـ ـسحب فـي اي البحيرات استنامـا
شرفـاتي ٠٠ سفُـن مخضـرة فـي الجراحات ابترادا ٠٠ والتئاما
سكرت شدوا ، وقلبـا ، ويـدا ونجـاوى متـرعات ٠٠ وحمـامـا
ونوافيـر غصـون ٠٠ أثمـرت فـي شفاه الدهر صبحـا مستهاما
وعلـى مفرقـه غارا ٠٠ وفـي صـدره المشـرع للريـح وسـاما
شرفـاتي ٠٠٠ للسنـى مفتـوحـة لـم يغلقهـا الدجى الا لمـامـا
وأنـا أدري ، وادري ، ان مـن يطلع النور ٠٠ غـدا يحيي العظاما
ان مـا شيـده الطاغـي سينـ ـهار في دمدمة الحق ٠٠ حطـاما

اللاذقية ـ سورية

فيصل خليل

النحو العربي والمنطق اليوناني

بقلم الدكتور عبد العال سالم مكرم
المدرس بجامعة الكويت

* * *

لا جدال في أن نشأة النحو العربي كانت مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا ، فلولا هذا القرآن لما نشأ النحو وتطور هذا التطور الكبير ، ذلك لانه بعد ان انتشر الاسلام خارج الجزيرة العربية كانت الحاجة ماسة الى هذا العلم ليصون الالسنة من فساد قد استبد بها ، ولحن قد سيطر عليها ، ولا ابالغ اذا قلت : ان هذا اللحن قد امتد خطره الى كتاب الله ، فكثر التحريف ، ونطقت الايات على غير ما تنطق به حينما تقرؤها الالسنة التي نشأت في بيئة اعجمية ، ولن تتمرن على النطق السليم .

وظل اللحن يتفاقم خطره يوما بعد يوم مما جعل عمر بن الخطاب يأمر بجلد من وقع في اللحن كأن اللاحن ارتكب جريمة لا يكفرها الا الجلد ، مع ان الجلد عقاب من يرتكب الكبائر كشرب الخمر ورمي المحصنات .

ويحدثنا الرواة أن كاتب ابي موسى الاشعري كتب الى عمر بن الخطاب على لسان الوالي أبي موسى : « من ابو موسى ... » فكتب اليه عمر « سلام عليك : أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا ، واخر عطاءه سنة » .

وروى الجاحظ انه ارتفع الى زياد رجل واخوه في ميرات فقال : ان ابونا مات وان اخينا وثب على مال ابانا فأكله ، فأما زياد فقال : ان الذي اضعت من لسانك اضر عليك مما اضعت من مالك . وأما القاضي فقال : فلا رحم الله اباك ، ولا نيح عظم اخيك (١) قم في لعنة الله . « ولا استطيع في هذا البحث الموجز ان اعدد صور اللحن في القرآن الكريم وصور لحن الخاصة والعامة ، فقد سجل الكثير منها الجاحظ في « البيان والتبيين » والذي يهمني ذكره هنا هو ان هذا اللحن على الرغم من كثافته كان يواجه بحرب عنيفة لا هوادة فيها ، فعبد الملك بن مروان يقول : اللحن هجنة على الشريف .. وابان بن سعيد يقول: اللحن في الرجل ذي الهيبة كالدنس في الثوب الجيد . ويخطيء الحجاج فيوجهه ابن يعمر ، فتثور ثورته ، وينفي ابن يعمر الى خراسان حتى لا يكتشف أمره فتضيع هيبته .

وكانت اكبر ثورة مقدسة وجهت ضد هذا اللحن الوافد تتمثل في نشأة النحو العربي حفاظا على كتاب الله تعالى من التحريف ، وصيانة للغته من الضعف .

وعلى الرغم من الروايات العديدة التي دارت حول نشأة هذا العلم فان الراي الراجح انه نشأ على يد ابي الاسود في خلافة علي كرم الله وجهه .

والذي جعلني أستريح الى هذا الراي هو ان ابا الاسود كما يقول المؤرخون عنه : من اكمل الرجال رأيا ، واسدهم عقلا .

وكان له حس مرهف بمواقع الخطأ حينما تنحرف الالسنة عن جادة الصواب والروايات التي قيلت عنه في هذا المجال عديدة سجلتها كتب الادب وتناقلتها السنة الرواة ولا ادل على ذلك من هذا العمل العظيم الذي قام به وهو تنقيط المصحف تنقيط أعراب ، فقد طلب من زياد أن يبعث اليه بثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الاسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس ، فقال له :خذ المصحف ، وصبغا يخالف المداد ، فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله .. فابتدابالمصحف حتى اتي على اخره » .

هذه رواية ابن الانبادي في كتابه «نزهة الالبا» وهي دليل واضح على ان ابا الاسود هو الذي وضع البذور الاولى للمصطلحات النحوية ، ثم جاء خلفاؤه من بعده وساروا في هذا الطريق حتى نما النحو على يدهم واتى ثماره بفضلهم .

هذا ، ولم يكن النحو الذي تطور على يد النحاة بعد ابي الاسود نحوا منطقيا لان النحاة استقرءوا كلام العرب ، شعرهم ونثرهم ، وحاولوا ان يضعوا في ضوء هذا الاستقراء قواعدهم التي توصلوا اليها ، وهذا امر طبيعي ، فالخليل بن احمد مثلا استخرج بحور الشعر العربي من استقراء أشعار العرب . وحاول بعلم العروض الذي ابتكره ان يرد جميع ما ورد من أشعار العرب الى أوزان قلما تتخلف .

اقول فعلى هذا المنوال نسج النحاة الاولون في مجال بناء القاعدة ، او وضع الاصول النحوية .

حقا : ان عبد الله بن أبي اسحاق اخذ عن « عنيسة الفيل » تلميذ ابي الاسود وقد قالوا عن عبد الله : انه اول من علل النحو ، وكان شديد التجريد للقياس مما دعا الزميل الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه « النحو العربي » الى أن يقول ما نصه ص ١٩ « ان التماس العلة والتمسك بالقياس لا يلتئم والطبيعة النحوية وكان عليهم ان يقتصروا على وضع شيء يعصم اللسان من اللحن الى ان يقول : ولكن النحاة ابتداء من عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي ساروا في هذا السبيل محاكاة للمناطقة والمتكلمين ، واصحاب الجدل ، وكان من تمام الادوات لدى المثقف ان يلم بمنطق ارسطو ، واراء افلاطون ، وحكمة

سقراط . ولذلك اقبلوا على ذلك اقبالا ، كلفهم عناء ، ولا سيما في علوم العربية » .

واحب ان اذكر للزميل الفاضل ان قياس النحاة من عصر ابي الاسود الى سيبويه لم يكن قياس منطق او جدل ، بل قياس قطرة وطبيعة ، فالانسان بحكم ادركه يقارن بين الاشياء فيعرف ما اشتبه منها وما لم يشتبه ، ما اتفق وما لم يتفق . ثم يستنبط من هذه الظواهر المتشابهة ، او الظواهر المتقاربة مقاييسه واصوله ولا ادل على ذلك من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟

قال : اقضي بما في كتاب الله . قال : فان لم يكن ، قال فبسنة رسول الله ، قال : فان لم يكن في سنة رسول الله قال قال : اجتهد رأيي ولا آلو . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله .

وفي هذا النص ما يدل على ان من اصول التشريع الاجتهاد بالراي وهو القياس ودليل اخر : فقد رووا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى قاضيه ابي موسى الاشعري (الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . اعرف الاشياء وقس الامور عندك ذلك) هل تأثر معاذ حينما يجتهد برأيه فيقيس بمنطق ارسطو ، او جدل فلاسفة اليونان ؟ وهل كان عمر بن الخطاب يجري على سنن المنطق اليوناني حينما يقول : اعرف الاشياء ، وقس الامور عند ذلك ؟

الامر في نظري لا يعدو انه من طبيعة الانسان ان يبحث عن العلة او السبب في كل حكم يصدره وفي كل راي يميل اليه .

اكبر الظن ان بعض المستشرقين لا يسلمون بأن النحو عربي النشأة وانما نقل الى بلاد العرب من اليونان وبذلك تسربت العلة الى بنائه وكان القياس الاساس الاول في كل احكامه . والحقيقة ان هذا القول يفرض ، فان المستشرقين الذين وضعوا الحق نصب أعينهم اعترفوا بما لا يدع مجالا للشك انه كما تنبت الشجيرة في ارضها كذلك ينبت علم النحو عند العرب .

ومن الرائع في هذا المجال ان اسجل شهادة «يوهان فك » حيث ذكر في مقدمة كتابه « العربية » ما نصه : « ولقد تكتلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل ، وتضحية جديرة بالاعجاب — بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها من ناحية الاصوات والصيغ وتركيب الجمل ، ومعاني المفردات على صورة محيطة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الاساسية عندهم مستوى من الكمال لا تسمح بزيادة لمستزيد » .

وحتى في العصور المتأخرة بعد ترجمة منطق اليونان وفلسفة سقراط وارسطو الى العربية احتفظ النحو العربي باستقلاله التام ، وطابعه الخاص واقيسته المتميزة ، ذلك لان اقيسة النحاة تسير في درب واقيسة المناطقة تسير في درب اخر .

ولقد اشار الى ذلك ابو حيان التوحيدي في كتابه « الهوامل والشوامل » فقد جاء في صفحة ٢٩٣ ما نصه : « سئل بعض العلماء بالنحو واللغة فقيل له : ايستمر القياس في جميع ما يذهب اليه في الالفاظ ؟ فقال : لا ، فقال السائل : فينكسر القياس في جميع ذلك ؟ فقال : لا فقيل له : فما السبب ؟ فقال : لا ادري ولكن القياس يفزع اليه في موضع ويفزع منه في موضع .

قال ابو علي مسكويه مفسرا هذا الكلام : اما قياس النحويين فليس مبنيا على اوائل ضرورية فلذلك لا يستمر وانما اجاب هذا الرجل العالم بالنحو عن القياس الذي يخص صناعته ولم يلزمه الا ذلك . فاما الفيلسوف فقياساته كلها مستمرة لا تنكسر منها شيء ولا سيما ضرب من القياس يسمى برهانا .

وما لي اذهب بعيدا والخليل نفسه لم تكن اقيسته الا من وحي الفطرة والطبيعة مع ان السيرافي كما نص على ذلك السيوطي في بقية الدعاة يقول عنه : « كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه » وما أظن أن السيرافي يعني انه تتلمذ على الفكر الارسطي وتأثر بمنهجه في القياس ، وانما كان يعني في رأيي أن الخليل كان يدرك بذكائه الخارق ، وفكره المتقد ، وعقليته النادرة ظواهر الاساليب العربية — فيقيس اسلوبا باسلوب ، وظاهرة بظاهرة فيستنبط ما يريد ان يستنبطه من قواعد .

ولا ادلال على ذلك من اجابته الرائعة حينما سأله بعض العلماء :

« أعن العرب اخذت هذه التعليلات ام اخترعتها من نفسك ؟ فقال الخليل : ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وان لم ينقل ذلك عنها — وعللت انا بما عندي أنه علة لما عللته فان اكن اصبت العلة فهو الذي التمست وان تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل ان يكون علة له ، ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء ، عجيبة النظم والاقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال : انما فعل هذا (هكذا) لعلة هي (كذا) لعلة سنحت له وخطرت فجائز ان يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي

(١) دعاء عليه بالهلاك . (٢) تاريخ الفلسفة الاسلامية : ترجمة الدكتور ابو ريده ص ٣٥ . (٣) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية — ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٢٨ . (٤) تاريخ الفلسفة الاسلامية : ت — ج دي بور ص ٥٧ ترجمة ابو ريدة .

منفاي هذا العالم

لا ضـــوء .. لا اطمئنـــان لا　　رؤيـــا .. ولا حتـــى ألـــم
لا صـوت فالصـوت احتمـا　　لات كأوهـــــام الاصـــم
والرعـب فــي أعمـاقنـا　　مخضوضر ســمح الديــم
والهـاربـون .. تزاحمـوا　　والســعي مختلـــط القيـم
لا الخير خـير .. لا ولا　　شـــر ولا مــــدح وذم
والــدرب منســي المـلا　　مــح ، تائـــه فيــه النغــم
وأنـا هنـــا .. منفيـــة　　لا خصـم عنـدي لا حكـم
فرحـي تــولى لا هنـــا　　لا حـــزن حتـى لا نـــدم
لا دفء لا !.. فالثلـــج قــد　　غمـــر الــروابي والقمــم

لا ضـو ، لا اطمئنـــان ، لا　　رؤيـا ، ولا حتـــى ألـــم
لا ليس لـــي الا احــترا　　قـي عـــبر حرفـي والقلـم

دمشق　　سلافة العامري

ذكرها هذا الرجل الذي دخل الدار وجائز ان يكون فعله لغير تلك العلة الا ان ما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علــة . ثم قال الخليل : فان صحت لغيري علة لما عللته من النحو هي اليق مما ذكرته للمعلول فليأت بها » .

والذي اريد ان اخلص اليه في هذا البحـــث ان النحاة الاقدمين من عصر ابي الاسود الى عصر سيبويــه لم يتأثروا بالمنطق اليوناني ، فتعليلاتهم وأقيستهم ليست يونانية الاصل او اجنبية المنبت ولكنها عربية في صميمها استخرجوها في ضوء الفطرة والطبيعة لا في ضوء المنطق والجدل ، ثم نمت هذه التعليلات على يد خلفائهم ، فكمل البناء للنحو وأصبح حصنا يحرس بناء اللغة من التصدع ويحافظ على كتاب الله من العامية المستبدة والشعوبية الجــائــرة .

ولو استنطقنا تاريخ ترجمة المنطق اليوناني الــى العربية لرأينا ان هذا المنطق لم يترجم الى العربية فــي هذه الفترة من التاريخ حتى يمكن للنحاة الاوائـــل ان يتأثروا به كما يقول بعض الباحثين .

وقد اعترف بذلك كثير من علمـــاء الاستشراق نذكر منهم ت.ج. دي بور حيث يقول في كتابه : تاريخ الفلسفة الاسلامية ما نصه : « جمعت الامثال والحكم والخطابات والوصايا . وجمع كل ما له علاقة بتاريــخ الفلسفة بوجه عام وترجم منذ العهـــد الاول ... ثم يقول : ولكن لم يشرع في نقل كتب اليونان في الطبيعة والطــب والمنطــق الى اللســان العربــي الا في عهــد المنصور . (٢) وخلافة ابيجعفر المنصور في سنة١٣٦ هـ مع ان ابن ابي اسحاق توفي سنة١١٧هـ فكيفتسنى لابن ابي اسحاق ومن عاصره ان يتأثر بهذا المنطق اليونانــي هذا الاثر الكبير .

على ان الترجمة لم تنتشر وتزدهر الا في عصــر المأمون ذلك الذي انشأ لها مدرسة في بغداد ســـميت باسم بيت الحكمة وكانت الترجمة في النصف الاول من القرن الثالث الهجري الى السريانية وفي النصف الثاني ازدهرت حركة الترجمة الى العربية شيئا فشيئا (٣) .

من هذه النصوص نتبين في جلاء ان النحو العربي ظل مصونا من اقيسة المنطق الى ان ازدهرت الترجمــة ونقلت الفلسفة والمنطق الى العربية وذلــك في القــرن الثالث الهجري حيث تأثر النحو العربي بعض التأثـــر بالمنطق اليوناني وظهرت في بنائه العلل بأقسامها العديدة مما صعب النحو وأبعده عن العلل الطبيعية التي لا تحتاج الى كد ذهن ، او عناء فكر في استنباطها واستخراجها ولكن مع هذا كله ، فان الحرص البالغ على سلامة اللغة كان هو الدافع الاول لمثل هذه الدراســـات النحويــة العديدة التي ملأت المكتبة العربية بشروحها وحواشيهـــا والتعليقات عليها ولا املك في هذا المجال الا ان اختـــم مقالي هذا بكلمة المستشرق دي بور حيث يقول : « ان علم النحو اثر رائع مـــن آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة ، ومن نشاط في جمع ما تفرق ، ويحـــق للعرب ان يفخروا به » . (٤)

الكويت　　عبد العال سالم مكرم

جريس العيسى - صبحي الخضراء
بدوي العلمي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - جريس العيسى

كان الشعار الذي ظل يردده في حياته الطويلة قوله : « شر الناس من ينصر الظالم ويخذل المظلوم ! » .

وجريس العيسى من العائلة المعروفة في يافا (ولد عام ١٨٦٠) والمشهورة بصلتها بالادب والصحافة ، فهو شقيق حنا العيسى مؤسس مجلة « الاصمعي » (١) وشقيق يوسف العيسى الذي اشترك مع ابن عمه عيسى العيسى في تأسيس جريدة « فلسطين » (٢) ثم لم يلبث ان نزح الى دمشق حيث أسس جريدة « الف باء » (٣) ووالد الصحفيين اللامعين الياس وسبيرو العيسى والشاعر الرقيق سعيد العيسى .

والمترجم له هو من الرعيل الاول من ادباء فلسطين اوائل هذا القرن ، هذا الرعيل الذي يضم تحت لوائه الشيخ ابو الاقبال اليعقوبي « حسان فلسطين » والشيخ ابراهيم الدباغ ووديع البستاني الشاعرين المعروفين ، وجورج حبيب حنانيا صاحب « القدس » (٤) وخليل بيدس صاحب « النفائس العصرية » (٥) ونجيب نصار صاحب « الكرمل » (٦) وسليمان التاجي الفاروقي صاحب « الجامعة الاسلامية » (٧) وبولس شحادة صاحب « مرآة الشرق » (٨) وغيرهم .

لم تتح الايام لهذا النفر من ادباء فلسطين الذين نشأوا في ظل الدولة العثمانية ان يصيبوا قسطا كبيرا من التعليم ، اذ كانت الامكانات جد محدودة تنفيذا لسياسة مرسومة توختها الحكومة العثمانية ، ولم يكن هناك غير (الكتاتيب) المحلية وبضع مدارس تابعة للارساليات الفرنسية والانكليزية والامريكية او معاهد تشرف عليها البطريركية الارثوذكسية الاورشليمية او الارسالية الروسية التابعة لروسيا القيصرية . اما من كان على شيء من الثراء فقد كان يوجه ابناءه الى بيروت طلبا للعلم او الى القاهرة للمجاورة في الازهر الشريف . وكان الطالب في (الكتاتيب) يدرس قواعد القراءة والحساب لا غير .

اما القواعد فلمساعدته على حفظ القرآن الكريم اذا كان مسلما والاناجيل اذا كان مسيحيا ، واما الحساب فلما له من فائدة في حياة الطالب العملية .

ولقد اتيح لصاحب الترجمة ان يلتحق بالكلية اليسوعية في بيروت (الجامعة اليسوعية فيما بعد) فترة من الزمن لكن ظروفا عائلية قضت بعودته الى يافا على أثر وفاة والده عبد الله العيسى ، فراح يرعى ما اكتسب من علم يسير وينميه حتى اجتمعت له منه أداة صالحة استعان بها على تصريف اعماله في ميدان تجارة البرتقال ومعاناة التاريخ بالشعر ، وهو ما يعرف بحساب الجمل .

نماذج من شعره : كان المرحوم جريس العيسى من القلائل الذين أتقنوا فن التأريخ بالشعر ، هذا الفن الذي يكاد يندثر ويعفي عليه الزمن . انه ضرب من الشعر يجمع بين الصنعة والطبع ، ويحتاج الى صبر وجلد وطول معاناة ... نقع عليه كثيرا في نتاج اليازجيين والبستانيين وغيرهم من فحول الادب في القرن الماضي . وهذا الفن بالاختصار هو ان يلجأ الشاعر الى تخليد حدث مهم باللفظ الشعري ، فالمعروف ان لكل حرف من حروف الابجدية العشرة الاولى رقما يوازيه يتدرج من واحد الى عشرة ، وللاحرف العشرة التالية منها ارقام توازيها وتتدرج من عشرة الى مائة ، وما بقي من الحروف يتدرج من مائة فمائتين حتى ينتهي بحرف (الغين) ورقمه الف . والمفروض في تاريخ الحدث المهم ان يكون مجموع أعداد الاحرف التي تتألف منها الكلمات الواقعة بعد كلمة (تاريخ) او ما اشتق منها هو السنة التي وقع فيها الحادث المراد تخليده . ففي سنة ١٩٣٦ مثلا وخلال الثورة العارمة التي قام بها عرب فلسطين عمدت السلطات البريطانية الى نسف البلدة القديمة في يافا بالديناميت بحجة « التحسين » و « التجميل » فقال المرحوم جريس العيسى مؤرخا هذا الحادث بأسلوب الكناية اللاذع ... وأبرق بالابيات الى المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود مستنهضا همته :

سألت مصر والشآم وبغداد   وصنعا ونجد : عبد العزيز
ما لجبارة البلاد توارت   واختفى رسمها بوقت وجيز
أبفعل الزلزال ؟ أرخت : كلا   دمرتها عدالة الانكليز

فمجموع احرف (كلا) هو ٥٠ ، ومجموع (دمرتها) هو ٦٥٠ ، ومجموع (عدالة) هو ١٠٥ ومجموع (الانكليز) هو ١٤٩ ، فتكون السنة التي دمر فيها الانكليز يافا هي (١٣٥٥ هجرية) الموافقة (١٩٣٦ ميلادية) .

وقال رحمه الله مؤرخا وفاة الشريف حسين بن علي :

بطن الجزيرة ارخوه   غدا عقيما بعد لحده

وقال مؤرخا وفاة الزعيم الراحل سعد زغلول :

ثالث النيرين غار فأرخ   وازعيماه مات سعد الشرق

كما أرخ وفاة القاضي الفلسطيني العادل علي جار الله :

بالامس جاورنا عزيزا نده   واليوم بات علي جار الله

كان قرض الشعر في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني يعتبر ترفا عقليا لا غير ، يقتصر على المباسطات الاخوانية والمناسبات الاجتماعية ، غير انه لم يلبث أن اصبح في أعقاب الاحتلال وبعد الوعد المشؤوم الذي قطعه بلفور لليهود (في ٢ نوفمبر ١٩١٧) ضرورة وطنية ، فانبرى الشعراء يستنهضون الهمم ويشحذون منددين بالاحتلال ، داعين الى المقاطعة ، محذرين من بيع الاراضي على يد سماسرة السوء ... واستدعى ذلك بالتالي نشاط السلطات الغاشمة التي أسكرتها نشوة الظفر في الحرب فانبرت تزج بالوطنيين الاحرار في السجون والمعتقلات ، وكان جريس العيسى في عداد الذين وقع عليهم الاختيار لنيل هذا الشرف :

في سنة الالف وتسعمئة   وثمانية بعد العشره
والخامس والعشرين لايلول   سجنوني بنو الكفره

ولم يكن السجن ليفت في عضد النفر المؤمن بحقه في وطنه ، فأرسلها جريس العيسى صيحة مدوية محذرا من بيع الاراضي :

قل للاولى شروا الضلالة بالهدى   يا ويلكم ذهبت تجارتكم سدى

---

(١) صدر العدد الاول منها في ١ أيلول ١٩٠٨ . (٢) صدر العدد الاول منها في ١٤ كانون الثاني ١٩١١ . (٣) صدر العدد الاول منها في ١ أيلول ١٩٢٠ . (٤) صدر العدد الاول منها في ١٨ أيلول ١٩٠٨ . (٥) صدر العدد الاول منها في ١ تشرين الثاني ١٩٠٨ . (٦) صدر العدد الاول منها في ١٩٠٨ . (٧) صدر العدد الاول منها في ١٦ تموز ١٩٣٢ . (٨) صدر العدد الاول منها في ١٧ أيلول ١٩١٩ .

لا دين أرضيتم ولا دنيا لكم   فتبوؤا من قصر (مالك) مقعدا

وقال داعيا قومه الى مقاطعة « تل أبيب » والسلع اليهودية :

يا فلسطين أسمعي نصحي   فكل الخير فيه
قومك العرب أعدوا   لك ما قد تشتهيه
من طعام وشراب   ولباس ترتديه
وملاه مظهر الحشمة   فيها تجتليه
فانبذي « تل أبيب »   واحذري أن تقربيه
واتقي الله وراعي   ما تبقى من (جنيه)
واذكري قولا حكيما   صادقا فيما يليه :
(من تردى برداء   ليس من صنع أبيه)
(سوف يأتيه زمان   يتمنى الموت فيه)

وكان الوطنيون الاحرار يتنادون في الثاني من نوفمبر من كل سنة (ذكرى الوعد المشؤوم) لاحياء الندوات الشعبية الخطابية والسير بعدها في تظاهرة صاخبة الى مكتب حاكم اللواء للاحتجاج على سياسة العسف والتفرقة ، وكان لجريس العيسى ، في كل من هذه الندوات السنوية ، قصيدة عصماء لا تلبث ان تجري في اليوم التالي على كل لسان . ومن ذلك قصيدته « رمضان » في الجمعية الاسلامية المسيحية ، يقول فيها :

رمضان عيدك أكرم الاعياد   سيان فيه حواضر وبواد
عيسى واحمد في السماء تصافحا   فتصافحت في الارض بيض أياد
والقلب من فوق الايادي عاقد   عهدا بحفظ كرامة الاجداد
عهدا بالا ينثني حتى ترى   فيه العدالة رأيها وتنادي :
أبدا فلسطين ليعرب موطن   مسرى النبي ومهد عيسى الهادي
بلد تقدسه العروبة : مصرها   وحجازها وعراقها والوادي

ومن قصيدته « صحا الشرق » التي تناقلتها صحف مصر وظفرت باعجاب امير الشعراء احمد شوقي يقول من أبياتها :

صحاالشرق واعتزت بتيجانها العرب   فما هي الا صيحة وارعوى الغرب
هنالك لا (بلفور) يجدي ولا الاولى   اقيمت لهم في أرض أجدادنا نصب
وقيل : اسجدوا او لا فخلوا البلاد   لليهود ، الا ضلوا جميعا بما انبوا
أكفر وتقتيل وفقر وذلة   ونحيا؟ اذن خير من العاقل الخشب

ولجأت حكومة الانتداب البغيض ، شأنها في تاريخها الطويل الاسود بمستعمراتها ، الى خديعة تخدير الاعصاب بايفاد لجان التحقيق الى فلسطين ونشر التقارير ... حتى اذا استنفدت كل حيلة أوعزت الى الصحف المأجورة ببث سموم التفرقة في صفوف الاهلين ، وهذه أبيات من قصيدة لجريس العيسى بعد زيارة قامت بها احدى لجان التحقيق لفلسطين :

خلوا المحابر والاقلام والكتبا   لم يجدكم ادب نفعا ولا أدبا
وكبروا ابدا من غير ما أسف   على الحجى ، فلكم ذقتم بها نصبا
شكوى،احتجاج،وفود،لجنة،صحف   لو صاغها ملك ما أبلغت أربا
تلك الحقيقة يا قومي فان تسلوا   السيف ينبيء أني لم أقل كذبا

وفيها يقول مخاطبا ملك بريطانيا ، ابن الملكة فكتوريا :

يا ابن التي ساست الدنيا بحكمتها   وعدلها ، أين ذاك العدل قد ذهبا؟
ضربت حول ضفاف (التيمس) خيمته   هلا بعثت لنا منه ولو طنبا ؟

وفي هذه الاثناء كان الامر قد استتب في شرق الاردن ، كما كانت تعرف انذاك ، للامير عبد الله بن الحسين ، وأخذ رجالات فلسطين يتطلعون اليه على أنه الرمز الحي الذي تلتقي عنده مشاعر عرب فلسطين الوطنية . وزار الامير يافا تلبية لدعوة من مجلسها البلدي ، حيث حل في (فندق بركات) وأقيمت على شرفه حفلة كبيرة ألقى فيها جريس العيسى قصيدة طويلة جاء فيها :

قد حقق الخبر الخبر   والسمع أيده البصر
شرف تخر له الملوك   وصارم عضب ذكر
طهر ، جلال ، هيبة   يا قوم ما هذا بشر

وقد طرب سموه للقصيدة أيما طرب وأثنى على الشاعر أحسن الثناء ، وكانت تلك المناسبة بداية صلة ودية قوية بين الشاعر والاسرة الهاشمية استمرت حتى وفاته في عام ١٩٤٣ !

كان جريس العيسى رحمه الله من ذلك النوع الفريد من الرجال الذي يجمع الى مآثر السلف الصالح في الرجولة والفروسية وعزة النفس والاباء رقة الحاشية ، ولطف المعشر ، وسماحة اليد ، والظرف في الحديث والتجلد في الازمات ! .

فقد احد ابنائه ، وكان شابا ، في حادث مؤسف فكان لا يفتأ يردد قول الرسول الكريم متأسيا « ان العين لتدمع، والقلب ليخشع، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم محزونون » .

وفقد ابنته الوحيدة ، وكانت في ميعة الصبا ، فطوى نفسه على حزن ممض ، ولم يزد على ان قال في رثائها معزيا أمها :

قضت فقضى الذكا والحسن اقفر   فلا حسناء بعد اليوم تذكر
واذ ضم الثرى جسما معطر   أقول لامها : التاريخ قرر
مع العذراء (نجلا) في السماء

وافرجت السلطات عن اعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب بعد ان تعهدوا بتقديم كفالات (حسن سلوك !) الا ان المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر الذي آثر السجن على تقديم كفالة (حسن سلوك !) ايمانا منه بأن الكفالة المطلوب تقديمها لا تتفق وكرامة الامة ، فابرق اليه جريس العيسى متحديا جبروت الحاكم الغشوم :

من كبير قبل سجن   بات بعد السجن أكبر
ذلك الاستاذ عبد   القادر الشيخ المظفر

انه طبع شاعر حساس ، ولكنها نفس رجل أبي متمرد « لم يزدها الضعف الا عنفوانا ! » كما يقول « الاخطل الصغير » .

ولم يلبث المرض والشيخوخة ان اصطلحا على الشاعر المتمرد فاعتكف في اواخر عمره في بيته بيافا يرقب الاحداث عن بعد دون مشاركة مباشرة فيها ، والمعروف انه كان الى تمكنه في اللغة والعروض حجة في القانون الكنسي ، وكثيرا ما كانت هيئة المحكمة الكنسية في يافا تنتقل بكامل هيئتها للانعقاد حول سريره .

وخالط نظرته الى الحياة في اخريات أيامه شيء من التشاؤم فانشأ يقول :

بين الضواري والبشر   لا فرق الا ما ندر
الكل يرصد في الخفاء   فريسة ، ويعد شر
وأرى الذين سمت مدا   ركهم لمن ذنب أضر !
فالذئب يسطو فطرة   وأخو المدارك بالفكر
عصر تفاقم شره   والخير أصبح في خبر !

وكان في اعتكافه القسري لا يفتأ يلهج بذكر الموت ، وقد قال مداعبا شريكة حياته وابناءه :

ثقلت وطأة الحياة علينا   واستوى النور والظلام لدينا
واستبدت شريكة العمر فينا   وجفاني لغير ذنب بنينا !
فالي يا موت عجل اليا !

وله من قصيدة اخرى يتبرم فيها بالحياة والاحياء ويداعب صديقا محاميا له :

لا تلمني ان كنت يا دود قبري   لم تجد لي غير الردى من طعام
ان دود الحياة لم يبق مني   لك يا ذا الصديق غير العظام
وفؤاد طي الضلوع مقيم   كان لي عدة لصوغ الكلام
فاتق الله فيه لا تلتهمه   انه قلب شاعر لا محام

وسئل لم لا يدفع بشعره للطبع فقال (وهو من آخر ما نظم) :

غيري بنشر قصيده كلف   وقصائدي في طيها نشر
ستظل رهن رفوف مكتبتي   حتى يضم رفاتي القبر

وكأنما شاء القدر ان يرحم شيخوخته فاختاره ربه الى جواره قبل ان يرى بعينيه هول المصير الذي أحاق بفلسطين ... وعرب

فلسطين ... وهو المصير الذي عاش عمره كله يحذر منه ويعمل مع العاملين المخلصين لدفع غائلته . وقد عصفت النكبة المروعة بـدار انجاله في يافا ومكتبتهم وشعر والدهم الوطني ، وكان مدونا في الطروس وجذاذات الورق في انتظار جمعه وطبعه في ديوان تحقيقا لوالد الماجد قبل ان « يضم رفاته القبر ! » .

وفي ٣ - ٢ - ١٩٤٣ فاضت روح هذا الشاعر المجلي ودفن في المقبرة الارثوذكسية بيافا المطلة على الشاطيء الفلسطيني ، مبكيا على رفيع خلاله ، وحميد خصاله .

٢ - صبحي الخضراء

كان شعاره في كفاحه السياسي قول الشيخ عبد العزيز جاويش : « ايها القلم ! لو كنت سيفا لاغمدتك في صدور من يحاربونك ، أو سهما لانفذتك في اعماق قلوبهم !

لو كنت جوادا لوجدت لك في ميادين النزال مجالا للكر والفر !

ولكنك ايها القلم ذلك العود الذي أيسر ما ينال من عوده ان يعالجه بالمبراة فيشقه ، أو بالاصابع فيكسره ، فلتكن ايها القلم منا شاءوا لك : اما نائما الى حين واما ميتا الى الابد ، فقد تركت عيونا لا يغذوها النوم ، وقلوبا لا يملكها الياس ، وايديا لا تخاف السلاسل والاغلال ، وارواحا تفدي الحرية والاستقلال ! » .

ولد « صبحي » في مدينة « صفد » (بفلسطين) سنة ١٨٩٥ وأتم دراسته الابتدائية والاعدادية في المدرسة الاعدادية بصفد والثانوية في سلطاني بيروت ، ومن اساتذته فيها : عادل العظمة ورفيق التميمي ، ومن زملائه : نسيب البكري واسحق درويش . ومن ثم قصد الاستانة ودخل الكلية العسكرية وشارك في الحرب العالمية الاولى بجنوب فلسطين ، وبعد ان وقع في الاسر التحق بالثورة العربية التي قادها الامير فيصل بن الحسين ، وكانت له مواقف مشهودة في هذه الثورة ، وفي الحركة العربية في سورية ضد فرنسا في العهد الفيصلي .

ومن اشهر معارك الثورة العربية التي جلى فيها معركة « ابي اللسل » التي دارت رحاها بين الجيش التركي والجيش العربي . وخلال المعارك الحربية التي خاض غمراتها جرح ثلاثمرات كما أصيب في معركة ام الحرائين شمال معان برصاصة اخترقت يده فرجله ثم اتجهت نحو صدره فاصطدمت بـ « صفارة » معدنية عسكرية كانت في جيبه ، فارتدت بعد ان (بعجت) الصفارة ونجا من الموت !

وعندما بلغ الجيش العربي الزاحف نحو دمشق بقيادة الامير فيصل كان « صبحي » في طليعة الابطال الذين دخلوا دمشق فاتحين سنة ١٩١٨ . وبعد ان استتبت الامور في سورية عهد اليه بمديرية الامن العام وعين مرافقا عسكريا للامير فيصل فمرافقا للجنرال جبرائيل حداد باشا مدير الامن العام في حكومة الامير فيصل بن الحسين بسورية ، وقد توثقت الصلات بينه وبين ثلاثة من زملائه الضباط الاحرار هم : المرحوم فؤاد سليم والمرحوم سعيد عمون وصبحي العمري ، ولقد افضت به هذه العلاقة الروحية الى زواجه من شقيقة القائد المرحوم فؤاد سليم .

وفي معركة ميسلون التي نشبت بين الجيش العربي والجيش الفرنسي اشترك « صبحي » في مناجزة الفرنسيين ، لكنه بعد ان دحر الجيش العربي في تلك المعركة وتفرق شمل الحكومة العربية الفتية وخرج فيصل بن الحسين من سورية عاد « صبحي » الى فلسطين سنة ١٩١٢ وعين ضابطا في الامن العام ، وهنا استغل وظيفته وسيارته ورتبته وشارته العسكرية لنقل السلاح سرا من الاقطار المجاورة وتزويد الثورة السورية بها ، وغدا همزة الوصل بين رجال الثورة السورية في الشمال واحرار سورية ودعائم ثورتها في فلسطين والاردن ، ينقل اليهم المال والرجال والعتاد والسلاح ، وينقل سرا رفيق الجهاد فؤاد سليم ، الفاخر في الخفاء من القاهرة فلسطين ، الى ميدان الثورة السورية .

وظل « صبحي » يغذي هذه الثورة بالعتاد والذخيرة الى ان اكتشفت السلطات البريطانية أمره ... فبارح فلسطين على عجل الى بغداد والتحق بخدمة الملك فيصل بن الحسين واستمر في عمله معه ١٦ شهرا ، وما لبث ان عاد الى فلسطين والتحق بمعهد الحقوق في القدس حتى تخرج منه واختير عضوا في اللجنة التنفيذية العربية بالنيابة عن صفد فمديرا لمكتبها على اثر ثورة ١٩٢٩ فمؤسسا بارزا في حزب الاستقلال العربي سنة ١٩٣٢ .

وفي الحقل العربي اشترك مرة اخرى في الثورة السورية التي نشبت بين فرنسا والعرب سنة ١٩٢٥ وحكم عليه بالموت . وفي الحقل العربي الفلسطيني ركز الجهد على مقاومة بريطانيا والصهيونية للحيلولة دون غـزو فلسـطين وتهويد معالمها العربية وتسرب اراضيها في (الكارن كايمت - الصندوق القومي اليهودي) وكان في طليعة انصار الفلاح العربي الفلسطيني والمدافعين عن الثوار العرب في الثورات التي نشبت في فلسطين وعن عرب وادي الحوارث الذين انتزعت بريطانيا اراضيهم رغم انوفهم ، وقدمتها لقمة سائغة « لليهودي التائه » . ولم يفته الاشتراك في سائر الانتفاضات القومية التي شهدتها فلسطين وقد عدته ادارة الامن العام من كبار المحرضين على اضطرابات سنة ١٩٢٩ وشبهته في تجولاته في بعض المدن الفلسطينية بـ « الطير » الذي ينذر بالعاصفة حيث حل .

واشتهر « صبحي » بالبيانات التي كان ينشها وهو مدير لمكتب اللجنة التنفيذية العربية ردا على حكومة الانتداب البريطاني وبعبارته المأثورة الرائعة الذي ذهبت مثلا : « بريطانيا أصل الداء ، واساس كل بلاء ! » . واصدر باسم اللجنة التنفيذية العربية ولمناسبة قومية ، بيانا قويا عنيفا هز النفوس وأثار المشاعر ، فبادرت السلطات البريطانية الى القبض عليه ومحاكمته بقانون منع الجرائم وقضت بابعاده الى صفد واقامته فيها تحت المراقبة اقامة جبرية ... فوقف مدير الامن العام البريطاني يشهد على « صبحي » فيقول : « ان صبحي الخضراء رجل خطر ، انه كالطير الذي يسبق العاصفة ... فما نكاد نراه بقامته الفارعة هذه وبسدارته في بلد ما .. حتى نوقن ان وراء هذه الزيارة خطرا يهدد الامن في البلاد ! » .

وحدا من نشاطاته في الحقل الوطني ادخلته سلطات الاستعمار البريطاني معتقلات عوجا الحفير وصرفند وعتليت وعكاء ما بين سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩ ، وكان في سجونه ومعتقلاته مثال المؤمن الصابر ، يؤم اخوانه في الصلاة ويتلو عليهم سورا من القرآن الكريم .

وفي سنة ١٩٤٦ اسهم مع زميليه في الجهاد عوني عبد الهادي ورشيد الحاج ابراهيم في اعداد مذكرة مهمة حول قضية الاراضي العربية في فلسطين قدمت الى اللجنة الانكلو اميركية ، ولما ايقن ان المعركة واقعة لا ريب فيها بين العرب وبريطانيا وحليفتها المدللة اسرائيل انتخب عضوا في اللجنة العسكرية التي كانت تدير ثورة ١٩٤٧ وامضى الايام والليالي متنقلا في الصحراء الغربية وغيرها من الاماكن النائية بحثا عن الاسلحة للمجاهدين .

وبعد حلول النكبة المروعة الاولى في فلسطين ١٩٤٨ نزح الى دمشق وأشرف على العناية بشؤون اللاجئين الفلسطينيين ، وفي ٤ - ٧ - ١٩٥٤ لحق بربه ولف جثمانه بالعلم العربي الذي هام به يافعا ، وجاهد في سبيله شابافكهلا فشيخا ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق.

وفي ٣٠ آب ١٩٥٤ اقيمت في دمشق حفلة تأبين كبرى للفقيد الخضراء حضرها رئيس الجمهورية شكري القوتلي بوصفه زميلا للمرحوم الخضراء وكان من خطبائها الاستاذ اكرم زعيتر ومن قوله في رثاء الفقيد :

« ان صبحي الخضراء سفر وطني حافل بملاحم الجهاد طواه

الردى ، ووجه مسفر كريم طلق المحيا ، ضاحك القسمات غيبه الثرى ، فلن نرى اذن بعد اليوم اخانا ، اخا المروءات ، وان ثورتنا بل ثوراتنا الوطنيات لن تراه الا بعين الوجدان ، وباصرة الخاطر ، ونتساءل عنه فلا نجد الا شعاع اخاء ينير الفؤاد ، وقبس وفاء يزهر الضمائر ! » .

نموذج من نثره : وعلى اثر اكتشاف شحنات ضخمة من الاسلحة المهربة الى اليهود في ميناء حيفا سنة ١٩٣١ انعقد في ٣١ تموز من تلك السنة مؤتمر في نابلس نشبت على أثره ثورة استقلالية في المدينة تعتبر الانكليز المسؤولين الاولين عن هذه السياسة الخرقاء . وقد اعتقل وجرح في تلك الثورة العاتية الكثيرون من المجاهدين ، فاطلق صبحي الخضراء النداء التالي الى مدينة نابلس ، مما يمكن ان يعتبر انموذجا للبيانات الوطنية التي كان يتولى « صبحي » انشاءها باسم الهيئات واللجان والاحزاب العربية في فلسطين :

« يا أخت دمشق !

حيا الله ربعك يا نابلس ، يا بنت الاكرمين ، وبلد الاباة الباسلين .

وقفت وما في الموت شك لواقف ، وعدت وما في العود ذل لعائد ، فما أعظمك في الحالين ! وما أشجعك في الموقفين !

يا عمورية الاسلام ولا معتصم لك ، ويا بلد الابطال ما أشد في الابطال نكبتك ! من جبليك هبت ريح الحرية ، ومن واديك انتشر أريجها ! ..

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق !

سجناؤك الاحرار ما ذلوا وما هانوا ، وجرحاك الابرار ما لانوا وما استكانوا ، وبناتك الاطهار مشين على القلوب والابصار ، فحفظتهن القلوب والابصار ، وما تركت للعلج اليهن سبيلا !

يا أخت دمشق ! أجمل الله عزاك ، قد أصبت فما وهنت وما ذللت ، فارفعي الراس عاليا واشمخي ! .

يا نابلس !

اما بنوك ففي سبيل الله ما يلاقون ، وفي سبيل الوطن ما يتحملون ، الا انهم هم الفائزون ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وأما سوى ذلك فقد أزفت الساعة ! الكلمة كلمتك ! فهيت لك فهيت لك ، ارسليها صيحة عالية تجوب القفار ، وتطوي البحار ! ابعثيها مقلقلة توقظ النائمين وتحيي الميتين . قولي (لا) بملء فيك ، فقد ساموك خطة الضيم وحق لك ان تغضبي . فاغضبي يا نابلس وقولي باسم العرب : « ان العرب طلاب حرية واستقلال ، وانهم قد غلبوا على هذه الحرية والاستقلال ! ضعي اصبعك على الداء وقولي ان الخصم واحد والخطر لا يتعدد ، وان لا مؤجل فيه ولا معجل ! ».

اعترفي باسم العرب بأن العرب أضاعوا ثلاث عشرة سنة من عمرهم يقارعون .. ولكن من ؟ ... ويحتكمون ولكن الى من ؟ حتى ضعف الطالب واعتز المطلوب ، واولئك في نجوة من كل طلب !

يا لها من عماية ما اشد وقعها ... وسياسة ما اقل نفعها ، لقد دنا موعد تطليقها ثلاثا لا رجعة فيها ... فطلقيها يا نابلس ... وانهجي نهجا جديدا لا لبس فيه ولا ابهام ، ولا تاخر ولا احجام ! .

ابناؤك المجاهدون سفهوا سياسة الترقيع ... فاجتنبي سياسة الترقيع ... وهاجموا الحكوميين والانتدابيين ، فانبذي الحكوميين والانتدابيين ! .

لقد خلا مؤتمر ٣١ تموز من (قادة الراي) فليخل مؤتمر ٢٠ أيلول منهم ايضا فما بكت عليهم السماء والارض ولن تبكيا !

يا نابلس !

أتتك القضية منقادة ... فشدي اليك مقاليدها ! »

٣ ـ بدوي العلمي

كانت الحكمة التي آمن بها « بدوي العلمي » وظل يتغنى بها :

« يقولون لي : اذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لئلا يحلم بالحرية ! »

وأقول لهم : « اذا رأيت عبدا نائما أيقظته ، وحدثته عن الحرية ! » .

ولد « بدوي » في مدينة « اللد » (بفلسطين) عام ١٩٠١ وأكمل دراسته الابتدائية في مسقط رأسه والاعدادية في سلطاني القدس ، وفي سنة ١٩٢١ التحق ب « دار المعلمين » في بيت المقدس في عهد رئيسها المرحوم الدكتور خليل طوطح ونال شهادتها سنة ١٩٢٣ وعين معلما في معارف فلسطين ودرس فيمدارس اجزم وطبريا وكفركنا والخيرية (من اعمال يافا) وصرفند ودير طريف (من أعمال اللد) وغزة . وفي سنة ١٩٥١ الى « معهد الصحافة العالي » بمصر ونال دبلوم الصحافة سنة ١٩٥٤ .

وفي النكبة الفلسطينية الاولى واصل عمله في مدرسة الامام الشافعي بغزة وفي سنة ١٩٥٦ كف عن التدريس ونزح الى عمان بالاردن وعمل فترة قصيرة مدرسا في احدى المدارس الاميرية .

وفي ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٥٨ فاضت روح هذا المربي الغيور ونقل جثمانه الى بيت المقدس ودفن في مقبرة باب الساهرة بالقدس العربية .

نموذج من نثره : كتب الفقيد عشرات المقالات في التوعية والتوجيه ونشر بعضها في الصحف العربية التي صدرت في غزة بعد حلول النكبة الاولى ، « كالرقيب » لصاحبها عبد الله العلمي و «غزة» لصاحبها فهمي ابو شعبان و « العودة » لصاحبها سعد فرح . وفي أغلب هذه المقالات صور « بدوي » هول المأساة العربية الاولى بفلسطين وما فعلت في شعبه من ذل وتشريد ، وتعذيب وتسهيد .

ومن مقالاته الوجدانية « جولة مع العيد » قال فيها :

« جاء يتهادى من بعيد ، يتمايل في سيره الوئيد ، ويختال في ثوبه الجديد ، ولما اقترب مني وتبينته ... جزعت منه وصرخت به : « لا أهلا بك ولا مرحبا بقدومك ! » فتبسم ابتسامة الساخر، وضحك ضحكة الساخر الماكر وقال : « اظنك لم تعرفني أيها الشريد الطريد ، فانا العيد الجديد ، فلا تعبس في وجهي ، فلست بالضيف الثقيل، فمقامي بينكم قليل ، ثم أمضي في سبيلي حاملا معي صوركم ، أطبعها على صفحات الايام ، فيخلدها الدهر وتتملى منها الاجيال ، فان لم تصدقني فتعال معي لترى ما أرى ... وتسمع ما أسمع ! .»

وأمسك بيدي وجذبني اليه وانا أحاول التملص منه قائلا «دعني يا كاشف الاستار ، وفاضح الاسرار ... ذرني ايها العيد ... يا مهين الاحساب والانساب ! » ولكني لم أقو على التملص منه ، فسرت مكرها واياه ... نتجول ونتأمل ، والدمع ينهمر من مآقينا ، فرأينا وسمعنا ... ويا لهول ما رأينا وما سمعنا ... رأينا أمة بأسرها تهلل وتكبر ، وتبدي البشر والسرور ، ونفوسها ملتاعة تجفل بين الضلوع ، لتثب الى بارئها فترفع اليه شكواها .. أمة تتصنع البهجة والفرح ونيران الاسى تتلظى في احشائها كالسعير .. رأينا الاطفال في ثياب بالية ، يلعبون بلا رغبة ، ويركضون بلا حماس ، كأنهم بما حل بنا عالمون ، وكانت بطونهم من الجوع خاوية ، وعضلاتهم من الالم واهية ، ثم شدني الى اكواخ اللاجئين فوجدناها من القوت خالية ، ووجوه أهلها شاحبة مصفرة ، والسنتهم ملجومة ، وافواههم مكمومة ، وقلوبهم مكلومة ، وحقوقهم مهضومة !

شيوخ وعجائز شاخوا قبل الاوان وقبعوا في اكواخ حقيرة بعد القصور الفخمة ، يتطلعون الى الوراء ببصائرهم وابصارهم ليعيشوا بالذكريات فيضحكون تارة ويبكون اخرى ، كالذين اصابتهم جنة ! ثم مررنا بالشوارع فالفينا شباننا الذابلين يتمشون على الارصفة وهم لا يدرون من اين ؟ والى اين ؟ ولماذا ؟ رأيناهم يغشاهم الذهول ، وينتابهم الحزن ، فلا ابتسامة تلوح على ثغورهم ، ولا خيط من خيوط

الحب القاتل

•

أحبك ملء قلبي مـلء عيني
وأكثر يا مناي بمرتين
شفاهك وردة بنت العشايا
مخضبة بشمس المشرقين
شعورك غابة كم تهت فيها
وداعبت الشفاه بقبلتين
سالت المقلتين لذبح قلبي
فجردتا علي كخنجرين
فها اني أنا سلمت حالا
وها اني رفعت انا اليدين

زحلة ـ لبنان رياض معلوف

الامل يشع من جباههم ، وكأن لسان حالهم يقول : « هيهات ، هيهات لما توعدون ! » .

رأيت كل ذلك ، وسمعت كل ذلك ، والمخفي أعظم من ذلك ، فثارت نفسي وصحت من شدة الالم :

« أيها العيد ! ليتك ما جئتنا ، فابعد عنا ، ولست منا ، ولسنا منك ، بعد ان فقدنا وطننا ، وفقدنا تاريخنا وامجادنا ! فاذهب الى حيث الشعوب المستقلة المطمئنة على أوطانها لعلك تجد مكانا هناك ! » .

نماذج من شعره : خلف « بدوي العلمي » بين اوراقه ديوان شعر مخطوطا اسماه « الدمع الاحمر » وقد استهله بالكلمة التالية :

« الى كل عربي وعربية في مشارق الارض ومغاربها اهدي هذا « الدمع الاحمر » من شعري ونثري للذكرى ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين ! » .

تميز « بدوي » بالحس المرهف والنكتة اللإذعة ، وعاش المأساة العربية في فلسطين بآلامها وتباريحها ، وجاء شعره معبرا عن احاسيس الشاعر وخلجات قلبه . ومن شعره في هذه الحقبة الفاحمة السوداء قوله :

دعوا قلبي ، فان القلب ذابا	ولا تسلوه عن خطب خطابا
وما في العين من دمع سخين	أخط به الى قومي الجوابا
أثار الوجد في قلبي لهيبا	وفي العينين من دمعي التهابا
ضياء البدر احسبه ظلاما	ونور الشمس احسبه سحابا
عذارى الشعر تنعى بالقوافي	وقد شقت على الوطن الثيابا
سلوها فهي تعرف ما دهانا	فكم نطقت ... وكم قالت صوابا
سلوها كيف حاربنا الاعادي	ودون الحي قربانا الرقابا
برزنا للكفاح بغير سيف	فاعملنا بهم ظفرا ونابا
زارنا زارة دوى صداها	وقد هز العرين لها اضطرابا
دعونا المجد ينجدنا فولى	وأدبر طالبا عنا احتجابا
فالقينا السلاح وما وهنا	ولكن الزعيم مضى .. وغابا
وأسلمنا النفوس وما ملكنا	وقد عاث العدو بها اغتصابا
فشرد جمعنا ... وطغى علينا	وشتتشملنا .. وبغى .. وعابا
الا ليت الزعيم يرى مصابي	وتنظر عينه هذا العذابا
ويسمع من حماة الحي صوتا	تصعده الكلوم له عتابا
ليعلم انه الجاني علينا	ويعلم انه بالعار آبا
قضينا في المهازل ثلث قرن	ولازمنا الشتائم والسبابا
تسيرنا العواطف حيث شاءت	ولا ندري الى أين المآبا
خسرنا بالعواطف كل شيء	وقادتنا كمن تبع الغرابا
ضللنا خلفها حتى هلكنا	كحادي العيس ان رام السرابا
اصمت سمعها لما نصحنا	وسدت دوننا بابا فبابا
ولم تسلك بنا ، منهاج قوم	مشوا بالعقل فاجتازوا الصعابا
أيعفو الله عن تلك الخطايا	ويرفع عن زعامتنا العقابا ؟ !

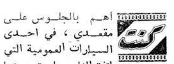
وفي قصيدة بعنوان « عودوا الى الله » خاطب الشاعر قومه بقوله :

ناحت على الايك تشجينا وتضنينا	بلابل الدوح في شتى نواحينا
نقلد الورق في أنغامها ألما	صارت ترجعه اطلال نادينا
وعازف الناي أمسى لا يداعبها	الا ليبكي الحمى والاهل تلحينا
يا عازف الناي غرد ما يفرحنا	لعل في الناي نلقى ما يسلينا
هذي فلسطين نبكيها وتبكينا	ونسكب الدمع يغلي من مآقينا
يا أخت يعرب قد خاب الرجا فينا	واصبح الغمد أمضى من مواضينا
ما كنت احسب ان القاك باكية	والعرب حولك قد فاقوا الملايينا
حتى رايت بنات الدهر عابسة	وكل بنت له بالشر ترمينا
لم يذكر الدهر اياما لنا سلفت	وانكر المجد تاريخا لماضينا
هل أنت يا دهر من كانت أوائلنا	اذا تنادوا لحرب قلت آمينا
هل سرت يا دهر الا في جحافلنا	يوم الكفاح فمزقنا أعادينا
بناتك السود كانت في الاماء لنا	وكنت يا دهر تحصى من موالينا
ان كنت تجحد ما عيناك تشهده	سل«خالد»الليث او سلعنكحطينا
أجابني الدهر في عنف وفي غضب	قد ذقتم الذل اذ أغفلتم الدينا
انقاد للناس ما داموا غطارفة	واخدم القوم ما زالوا ميامينا
واكره الجبن في الانسان مذ خلقت	يد الجلالة في الاقوام باغينا
سبحانك الله كم أعددت من نوب	تودي بقوم عن القرآن ساهينا
أنزلت فرضا علينا ان نعد لهم	ما تستطيع من القوات أيدينا
تعطي الحياة لمن في الموت رغبته	ويدرك الموت من يخشى الميادينا
أضلنا الجهل عما قد أمرت به	وزادنا الخصم اغراء ليلهينا
عودوا الى الله في قول وفي عمل	يا أيها العرب عل الله ينجينا

وقيض الله لشاعرنا ان تكتحل عيناه بيوم جلاء الانكليز عن مصر فخاطب كنانة الله بقوله :

بشراك يا مصر جاء النصرفابتسمي	ومجديالجيش حامي النيلوالحرم
تقوده الاسد والاعداء شاهدة	والشرق ينظر اعجابا بذي الهمم
سبعين عاما قضتها مصر دائبة	على الكفاح فلم تغفل ولم تنم
جاهدت يا مصر أعواما مدافعة	تبغي الجلاء لخصم راسخ القدم
ناديت يا مصر اشبالا غطارفة	يوم النزال لخصم غاصب نهم
لباك يا مصر ابطال اشاوسة	قد بايعوا الله والاوطان بالقسم
قادت بنيك الى العلياء ثورتهم	حتى انجلىخصمهم بالحربوالسلم
يوم الجلاء تفوق الدهر طلعته	عيد الكنانة والسودان والعلم
يوم الجلاء تسر الشرق بهجته	وتنعش الناس من عرب ومن عجم
يا جيش مصر ويا حامي كرامتها	يا باعث المجد والامال من عدم
نصيرك الله يا من قمت تنقذنا	من السفاهة والطغيان والظلم
ظهيرك الله يا من جئت تسعفنا	من الجهالة والاملاق والالم
هذي فلسطين تشكو من مصائبها	فاعطف عليها وخذ بالثار وانتقم
يثيبك الله عنها خير ما كتبت	يد الجلالة فوق اللوح بالقلم !

عمان ـ الاردن البدوي الملثم



أهم بالجلوس على مقعدي ، في احدى السيارات العمومية التي اتفق الناس على تسميتها الاجنبية بالاوتوبيس .

كان رقم تذكرتي ٢١ . وكانت صفوف الكراسي ممتلئة بالمسافرين . وكان الاوتوبيس على أهبة الانتقال بنا من المحطة الى المدينة . لحظة تشبثت يد بكتفي ، رافقها صوت يقول : مرحبا استاذ حلمي .

فسارعت الى الالتفات خلفا .

والتقت عيناي بعيني شخص .. ما كدت استوقفه عن هز كتفي ومناداتي ، حتى تذكرت انه وجه صديقي « حليم مسعده » : اهلا .. اهلا سيد حليم ، هذا انت ، يا هلا بك .

لم يكن الاوتوبيس قد اقلع بنا بعد ، والمجال متسع لان نجلس على مقعدين متقاربين . فطلبت من رفيقي المجاور لمقعدي ، ان يسمح للسيد « حليم مسعدة » بالجلوس مكانه ، ويتخذ هو مقعده . بغير ذلك لم يكن بالمستطاع تغيير المقاعد ، لان التذاكر مرقمة وكذلك المقاعد ... كان جاري لطيفا ومهذبا ، فوافق وانتقل من مقعده رقم ٢٢ الى مقعد « حليم مسعده » رقم ٣٦ ، وجاء هذا الى جواري .

ما ان جاء « حليم مسعده » الى جانبي ، حتى امتلأ وجهه بالبشر والابتسام ، وتندت رقبته بالعرق ، وكأن رواسب الماضي كانت لا تزال تملأ قلبه وخياله كحمامة بيضاء تدرج على سطح فسيح ، وتهدل برتابة ، وتتزايد رقتها كلما تمهلت في الهديل ... قال : كيف الاخوان في المنطقة ؟

قلت : الجميع يسلمون عليك ، يا اخ حليم .

قال : ما رايت شعبا اطيب من شعب منطقتكم ، ان تلك الايام التي قضيتها بينكم ، تلازمني خيالاتها وتجتذبني واطوف بها ، كآثار عملية جراحية ، ترك مبضع الجراح فيها ، قطبا عديدة ، شفيت جراحها والتئمت ولم تعد تستوجب المداواة ، ولكن آثارها تشير الى انها كانت هنا ...

قلت : طبعا انها ايام حلوة ، ومن كان مأمور نفوس ، تراها تدخل المرارة الى ايامه ! ..

هنا كان محرك الاوتوبيس يهدر في تصعيد قوته ، وهو يجتاز طلعة « الجسر » المؤدية بنا الى مدينة بيروت ... وكي لا تفوت على كل منا ، طراوة الحديث والذكريات ، امسكت انا عن الكلام ، وترقب حليم مسعدة ، ريثما تنخفض ضجة المحرك فنعود الى المحادثة ..



بقلم نصرت توفيق خريش

انتابتني شحنة من الماضي ، ذلك الذي ما زال في خيال « حليم مسعدة » مأمور نفوس المنطقة في تلك الايام ، متسع لبعضه فما اقصته تنقلات الحياة عنه ، ولا طوته جعبة الذاكرة في ركن منسي من ركامها ، ولا باعده النسيان عن معارفه ، وكأن الذكريات التي يفلسفها البعض الى انها كيس من الفحم ان اثقل الانسان ظهره به ، جولة ، فلا مندوحة مفيدة من حمله مدى العمر ، اجدها هذه المرة عند رفيق سفرتي هذه غيرها عند هؤلاء ، اجدها سماء حلوة ،



ولئن حجبتها الغيوم حينا ، فان السماء تظل حلوة ، وتظل قطرات الماء تحن اليها ، وتشتاق الى بروقها ورعودها ، وتعود اليها تعانق صفحة وجهها ، فتساكنها وتهمس اليها بالامال ، وتطلق حريتها حالما تمل الوحدة معها ، وتتركها تذهب في مغامرات الكون تلد التجديد والاشراقة والنماء الحي ، وجدت الذاكرة عند « حليم مسعدة » لا تنسى الوجوه ، وان رأتها تراءى له معها ، شريط الزمن البعيد ، زمن كان بيننا في المنطقة ... بين الناس الطيبين ، الذين يفخرون بالعمل ، ويشاؤونه تعزيزا لتكوين أسر آمنة ، غايتهم تعليم افرادها وحب الوطن ..

الناس في منطقتي ندر منهم من يعيش على تعب الآخرين ... انهم مقبلون على العلم ، كأقبالهم على العمل ، متواضعون ، دمثو الاخلاق ، كرماء ، يقدمون لك في بيوتهم قلوبهم ، حين تدخل تحت عتباتهم ... صبورون لو انقطعت المياه .. سمحاء اذا تأخرت الكهرباء .. لكنهم ثائرون اذا جاءت اسعار الدخان متدنية ، زراعة التبغ عندهم طريقهم الى العلوم والعمران والتحصين ، ويتهكمون على كل الدعاوات ويقولون ان كرامة المواطن تبدأ حين يقدر غيره ، عرق جباههم واتعابهم ، فكيف بالاتعاب اذا كانت حبات العرق تبدؤها من مساكب الدخان ، يرشونها بذورا ، فسقيها ... فمكافحتها من المرض .. فقلعها شتلا صالحا ، فغرسها شتلة شتلة ، فقطفها ورقة ورقة ... فشكها ، فتسقيلها تحت الشمس .. فاعادة تصفيفها ورقة ورقة ، قبل تدنيكها واعدادها لاخر المطاف .

وفي حسبانهم ان كل وسائل الدعاوة عن الازدهار والطمأنينة تظل عرض ازياء ، ما لم تنطبق هذه التفصيلات على تحسين اسعار التبغ واتاحة الفرص الخلاقة امامهم ، زراعة التبغ مورد يحد من الهجرة ،

أوليست الهجرة بحثا عن عمل .. عجبا بنا كيف نزهد العامل، وننبت البطالة، ونعرف الناس على القلق، ونشرع باب الهجرة واسعا، ولا عتب؟ ... كأن عيد البربارة صار له امتداد الى باقي ايام السنة، فبدل ان تكون الوجوه المستعارة مخصصة ليوم واحد، وعيد واحد، صارت ايام السنة كلها اعياد بربارة.

وفيما انا اتعجل بعتابي، تأثرا بما تربطه الاحداث والذكريات والوقائع، كان الاوتوبيس يخفف من عقيرة محركه في ذلك السهل الجميل، فأهرب من افكاري الصامتة، من جبالنا الى سواحلنا اتطلع في وجه هذا الازدهار، في البساتين والحدائق، والشوارع والبنايات وسؤال كبير يجول في مختلجاتي، لماذا لا يكون عندنا بعض هذا الازدهار الضاحك؟! .. ونحن عملنا من اجل اقامته فوق ارضنا، فلا احد يشجعنا، وتبقى طاقاتالافراد غير طاقات الجماعات.

افكار كثيرة الحت علي في هذه الرحلة ولم تبارحني ... افكار صامتة تطغي عليها اجوبة خرساء. ومن كان الصمت يتبعه كظله يزهق نفسه وتهم الارض بابتلاعه! ..

ادار «حليم مسعدة» راسه صوبي، وحانت منه التفاتة الي وخاطبني، وكانه ادركني قبل ان تهيم بي التساؤلات:

— لم اسألك كيف يوسف حسونه ابن ضيعتكم، «وحميد ابو سلوان» من «جديدة القطيع» القريبة منكم؟

قلت: كل هؤلاء تركوا المنطقة وقراهم، ونزلوا الى بيروت.

قال: وماذا يعملون في بيروت؟

قلت: يعملون اي عمل، حارس بناية، قهوجي، عامل شركة، معاون بوسطة، حيث يوجد العمل يوجد الرغيف.

قال: وان شاء الله انت نازل الى بيروت، لتلتحق بهم!

قلت: يعني!.

قال: اسمع مني يا سيد حليم، كبر عقلك، وابق في ضيعتك، دونم دخان واحد، يعطيك اكثر من غربة سنة في بيروت.

قلت: دونمات الدخان لمن لهم ارض، اما الضامن فماذا يصفى له بعد الاسعار المتدنية.

قال: اعملوا تعاونية زراعية، انتخبوا نقابة، اعتصموا، اضربوا عن التسليم.

عصفت برأسي هذه الافكار .. فحملتها الى اول شارع نزلت على رصيفه .. تعاونية زراعية .. نقابة .. انها مغامرة .. ولكنها تحتاج الى ناس .. التعاونية تحتاج الى ناس .. النقابة يقررها الناس .. الاعضاء يتحملون مسؤولية الناس .. الناس .. الناس ..

اردت ان اقول لهؤلاء الناس المارين على الارصفة، قفوا لقد زاغت عيناي ... عشر سنوات باعدت بين ابناء قريتي الذين ذوبتموهم بين جموعكم وبيني ... اين يوسفحسونةاين امين الحصري اين حميد ابو سلوان ... لا اقدر على تمييزهم بينكم .. تراها قد تبدلت ملامحهم؟! .

اخذت اسير ابحث عن ابناء قريتي .. تجول عيناي بالارصفة وما فوق الارصفة ... ومداخل البنايات ومن هم عند بواباتها .. بكل شخص اصادفه، علني اجدهم بين الناس .. لم اجدهم، علهم كانوا ركابا فيهذه السيارات، والقاطرات التي تختفي ويعود غيرها ... لاذت بي الافكار ... تسللت الى قلبي .. حاولت طردها ... فقفزت الى لساني ...

يا اهل المدينة .. من كان منكم قرويا مثلي، فليأت الى هنا، وعاجلا قبل ان تخنق المدينة كبرياءه، نريد ان نرجع الى قانا، وننشىء تعاونيات زراعية، ونقابات، ونبيع محاصيل التبغ والزيتون والتين باسعار مرتفعة .. تعالوا .. تعالوا.

تضاحك الناس وتابعوا سيرهم ... قليلون عبئوا بي، وقليلون اقتربوا مني ...

عدت الى المناداة:

تعاونيات .. نقابات .. مشاريع جديدة ..

بح صوتي ... وهنت قواي، اخذت صندوقا خشبيا وقعدت فوقه انادي ...

انحنى فوق راسي واحد لم ادر أهو بنت ام صبي .. شعره طويل، وصوته رقيق، ولكنني اشك ان يكون بنتا.

قال: من اعطاك هذه الافكار.

قلت: مأمور نفوس.

قال: ارجع اسأله، بكم اخراج القيد او تذكرة الهوية!

قلت: يعني عن «شوفة الخاطر»؟

قال: نعم «شوفة الخاطر».

قلت: لربما الرواتب ضئيلة، واعتاد الناس الكرم!

كان النعاس قد غالب جفني، ولكنني تملكت نفسي ورفعت راسي لاتابع الحوار، الا ان المحاور كان قد اختفى بين الناس ... فنهضت وانفجرت .. انادي الناس من جديد وبغير ملل:

في لقرية تعاونيات ونقابات.

تعاونيات ... نقابات.

وكمن اتى ذنبا، جاءني رجل انسحب من الشارع وقال: افي القرية تعاونيات ونقابات؟!.

قلت: نعم سننشيء تعاونيات ونقابات.

قال: (هازئا) وحكايات!

قلت: حكايات ماذا؟

قال: خلقنا قبلك في القرية، انشانا تعاونيات، فأكلوها ...

قلت: ونقابات؟

قال: بالتهديد انجحوها، فانسحب الاعضاء وبقيت اللجنة.

الرغيف .. الرغيف ...

لم تنطل علي هذه الروايات، فوقفت ارقص واغني، واخذ الناس

عبر المساقط

المكان .. والعتمة ابـدا
الشمس اطلبها .. تحاول التسلل
السواد غيمة مجلله
والزمـن عجلـه ،
في سقوف المكان .. اطلقت عيني
والمسافة تستطيل .. تناى
واللجـوء عبـث ..
في جسدي حرارة حزيران
الجبين المتفصد
النبول النصفي
اغفاءتان .. ويقظة

الغرفة تزدري اشياءها
تمتص الوانها
حـادة زفراتهـا

وعبر الباب الهرم .. تنحشر قطة
وزاوية ضياء طوليه تبرز
تباعـد العتمـه ..
انهـض !!
لكن .. تشدني جاذبية خفية
تولد موتـا جدليـا

احلم .. أبحث عن هداة نقيه
عن شمس بلا زيف تقيه
واقتطعت شوطا .. حسبته شبرا وعشرا
وفي كبرياء لا احسبه .. تموء القطه
تودع المكـان
واغرق .. اتيه في جوف حزيران
ويسقط في مكانه المكان .

الموصل ــ العراق **لؤي الزهيري**

يتراكضون الي ، وينصتون ويأنسون باغنيتي :

تعاونيـــات ونقابـات
ومواسم حلوة ع التلات
ان فرطتواحدة او تنتين
منعمل غيرها جمعيـات
هات وخد، وخد وهات !

الرغيف .. الرغيف ..

اكتظ الشارع ، تعرقل السير .. تجاوب الناس مع الاغنية ، تمايلـوا مع اللحن .

صوت هارب : متفجرات !

هرب واحد من المتجمهرين وتلاه عشـرات ، فمئــات ، يصرخـون متفجرات !

وسرعان ما تدافــع الناس الـى الشوارع بعيدا عني .

لم يبق واحد حولي ..

كانت الشرطة قد وصلـت، ... طوقوني .

ــ ارفع يديك وسلم نفسك .

ــ رفعت وسلمت .

قال احدهم : ماذا في جيبـك المنتفخة ؟!

ارتبكت ، وبصوت متقطع خائف .. قلت : لا شيء ياسيدي، انما ..

قال : انما ماذا ؟ ..

قلت : اخاف ان اقول .. اخجل ان ... وما ان هممت بانزال يدي، واخفاء ما في جيبي المنتفخة حتـى سارع رئيس الشرطة الغاضب الـى شق الجيبة ، وسحب الصرة التـي نفختها .

ــ متفجرات !.. يا لك من مجرم!

ــ لا ، لا يا سيدي انها زوادتي : رغيفان ولا شيء بينهما .

وسرعان ما افترت اسارير وجوه الشرطة ، عندما وجدوا في جيبي ، ليس متفجرات بل رغيفين من الخبز ، هما زادي في ذلك النهار . ومـن يدري ؟ ربما كانـت لقمـة العيش تحمل في احشائها انفجارا رهيبا !.

الرغيف .. الرغيف ...

في تلك اللحظة ، ارتسمت فـي رأسي صورة قريتي من جديد ، ولكن رئيس الشرطة ، هزها بصوته والقى بزوادتي في سلة القمامة ، زاجرا : انت موقوف ، لقد عرقلت السير .

عين ابل ــ لبنان **نصرت خريش**

طيف من الف ليلة

★

دنيا من السحر فيعينيك تدفعني ... كي أستريح على اشعاع قنديل
تقول هامسة ان الـرؤى خطرت ... ما ضر لو صرت حرفا فوق منديل
تطوق الجيد فـي ينبوع فتنتـه ... وتحرس الكم ، تعنى بالمحاصيـل
مواسم الصيف أعطت كل غلتهـا ... فاجمع غلالك ، واصدح بالمواويل
وعمـد الروح هذا الحسن مغفرة ... واغسل فؤادك من اثم الاقاويـل

رمحية القد زرت الحلم زنبقـة ... طيفا بثوب من الاشواق مغـزول
نامتعلىالجفن والاهداب تحرسها ... من عابر سارق بالطيب مجبـول
لم ادر يا طيف أيان التقيت بنـا ... فيضوءنجمترى؟ امفوق جندول؟
ام «الف ليلة» كانت أمس موعدنا ... يا شهرزادي قد ألفت ترتيلـي
ضيعتني في دروب لست اعرفها ... ان الطريـق كمقطـوع وموصـول
تاهت على رقصات الموج أشرعتي ... وضمنياليم شلوا .. ضاع تأويلي
مثل الغريب وفي عينيك مرفـأه ... ترضيه نظرة مشتاق ومشغـول
مثـل الفراش اتى للنور يحرقـه ... وفـي لهيبك كم واه ومقتـول

يا فتنة الحسن ما اعتادت خمائلنا ... صوت الهزار ولا رجع المواويـل
ولا أفاقت هنا يومـا بنفسجة ... ترشرش العطر.. أغريها.. فتوحيلي
الروح كانت على الاضلاع نائمـة ... والقلب صخر أتى من نحت أزميل
فكيف يا حلوة العينين قد لعبت ... فينـا الفتون وكنـا كالتماثيـل
تـدفق الدفء في قلبي فحررني ... واسطاع طرفك تغييري وتبديلي
من قال للشفة السمراء اعشقها ... كي تنثني دونما شرح وتعليـل
من خبر القلب ان الليـل موعدنا ... نوزع السحر من شال ومنديـل
صنعت انت الهوى واخضر برعمه ... من لمس خدك ، من همس وتقبيل

دمشق ... محمد صالح بحري



عبد العزيز جـادو

عبدالعزيز جادو شخصية خيالية

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أزعم فيما ازعم من الاراء ان صديقي الباحث النفسي الروحي الاستاذ عبد العزيز جادو شخصية خيالية لا وجود لها في عالم الحقيقة ، وأنا ازعم لنفسي هذا الزعم على حين أزوره بين الفينة والفينة . فأناقشه فيما يعن من الراي وجها لوجه ، ثم أتلقى خطاباته الدورية فأسارع بالرد عليها لتصل اليه ، وهو مع ذلك كله فيما أزعمه لنفسي من الاراء شخصية خيالية لا وجود لها في دنيا النـاس .

أأكون سوفسطائيا انكر حقائق الاشياء ! لا اعرف أطلاقا اني كذلك ؟ ولكني اتابع الدكتور طه حسين في منطقه الذائع حين كتب فصله البديع عن مجنون ليلى فرأى من متناقضات اخباره ، واختلاف انبائه ومفارقات أحاديثه ما جعله يزعم ان قيسا شخصية خيالية ، وهأنذا اشاهد سيلا من المتناقضات المتضاربة يغرق صديقي عبد العزيز جادو في طوفانه ؟ أفلا أتابع الدكتور طه حسين في منطقه فأزعم ما زعم ، خطأ كان ذلك ام صوابا ؟ والخطأ اذ ذاك هين مغفور لمثلي ، وكيف وقد اغتفره القراء لعميد الادب الكبير .

اجلس ما بيني وبين نفسي بعض اللحظات فأنسى نسيانا تاما اني اعرف عبد العزيز واصاحبه كتفا الى كتف واناقشه وجها لوجه ، انسى ذلك لاراجع انباءه وابحث اثاره ثم اصدر حكمي على هذه المراجعة وحدها فأجدني ازعم أنه شخصية خيالية لم تعش في الاسكندرية يوما واحدا ، وانما لفق الرواة اخبارها ، كما لفقوا اخبار المجنون ، ثم صنعوا له مؤلفاته الكثيرة وابحاثه الضافية كما انشدوا الشعر الغرامي وعزوه الى قيس في منطق الدكتور ، واذا تعجب القارىء من ذلك فليسمع .

لقد فاجأ عبد العزيز الناس ذات يوم بشعر عروضي ملتزم نشره تباعا بمجلة « المعرفة » ، فعرف عنه البعيد والقريب انه شاعر من مدرسة الشاعر الكبير علي الجارم يحتذي ويقلد ، وتوالت قصائده بالمعرفة لتؤكد هذا الطابع التقليدي حتى ظن الناس انه سيذهب الى بغداد ذات يوم ويقول فيها ما قال الجارم الكبير هناك :

السنا حماة القول في كل محفل تتيه بنا في أرض منابره

واخذوا يرصدون كوكبه من هذا الافق وحده ، ولكن ايديهم تمتد بعد فترة الى قصة غرامية من الشعر المنثور تتضمن خطرات مهجرية تحت عنوان «آمال» فيرى القراء نمطا من قول جبران خليل جبران يحتذيه عبد العزيز فيدهشون ويتساءلون اصاحب رصانة السبك وجودة الحبك في شعر المعرفة هو صاحب الهمسات والومضات في خواطر « آمال » وكيف تلاقى الجارم وجبران في اطار ؟ لا بد ان يكون هناك تشابه في الاسماء وان عبد العزيز جادو شخصيتان لا شخصية واحدة ، ولكن صاحبنا امام معارفه واصدقائه يعترف انه يجمع الثلج والنار في اناء .

والى هنا فالمسالة مسألة حيرة واشتباه فقط لم تصل بعد الى التناقض في انتاج عبد العزيز ! ولكن هذه الحيرة تشتد حين نجد عبد العزيز يفاجىء الناس بضرب من الفولكلور الفكاهي ينشره في مجلة «الراديو والبعكوكة» وفي مجلة « اللطائف المصورة » فيترك الجارم وجبران الى احتذاء حسين شفيق المصري ! ويرى القراء في انتاج عبد العزيز شيئا جديدا لا يتصل بمجلة « المعرفة » ولا بمجموعة امال بسبب من الاسباب ! اهو عبد العزيز الثالث ام ترى ماذا ؟

لا زلنا بعد في دائرة الحيرة والالتباس ؟ ولكننا نكاد نقطع الشك باليقين حين نمر في شارع شهير بالاسكندرية فنجد محلا تجاريا كبيرا يبيع الحدائد المختلفة الحجوم وقد وضعت عليه لافتة كبيرة تحمل اسم « عبد العزيز جادو » ونرى الرجل بلحمه ودمه يناقش في اسعار المسامير والمفصلات ، ويكايد زبائنه ويكايدونه ، ويدير اطار ؟ لا بد ان يكون هناك تشابه في الاسماء وان عبد العزيز اخر دون نزاع فاذا التبس الجارم بجبران وحسين شفيق فلن يلتبسوا جميعا بسادتنا التجار ؟ اترى قد ودع الرجل عالم الشعر والادب ؟ من المعقول ان يحصل ذلك ؟ ولكن ليس من المعقول ان يودع هذا العالم الى المسامير والمفصلات فجاة دون اسباب ؟ وهذا ما كان !

وتمر على الشارع الكبير بحي كليوباترة بالاسكندرية

لتقرأ اللافتة التجارية ما بين مصدق ومكذب . فيدهشك ذات يوم ان ترى جوارها لافتة اخرى تقول عبد العزيز جادو صاحب جريدة « الشاطىء » فتضرب كفا بكف ، وتقول هل اصبح تاجر الحديد صاحب جريدة ورئيس تحرير ؟ وتتطلع الى قراءة الاعداد فتزيد الدهشة في نفسك حين تجد في صدر الصحيفة هذه العبارة « جريدة الشاطىء توزع مجانا لمن يطلبها » ما هذا ؟! ان عبد العزيز الذي نعرفه فقير يعتمد على ستر الله في تربية اولاده ، ولن يعقل اطلاقا ان يصدر صحيفة توزع بالمجان !! لا بد ان هناك مليونيراً اخر يحمل اسم عبد العزيز جادو ! ولكن ادارة المجلة بمنزل عبد العزيز ؟ وكلمات الكتاب ورسوم الكاريكاتوريين توجه الى عبد العزيز ، وهو يطالع تجاهك ما يرد من الرسائل ، ويخط أمام عينيك الافتتاحية التي لا تلبث ان تقرأها في صدر الشاطىء ؟ مهما تأكدت من ذلك كله فانا بعقلي لا اصدق ! واذهب الى صديقي وصديقه الاستاذ الكبير نقولا يوسف فأسأله عن هذا الكنز الذهبي الذي انفجرت فوهته تحت قدمي عبد العزيز فجأة فأتاح له ان يوزع الشاطىء بالمجان ؟ فيضحك نقولا ثم يقول « كنز ايه يا عم ! » المسكين يعتمد على بعض اعلانات تكفي نصف التكاليف ، ثم يدفع النصف الاخر من عرق جبينه بالمحل الحديدي ! فأسأله ثانية وما هذا العناء ؟ لماذا لم يخفض قيمة الاشتراك بما يجعله يخرج من الهوى لا عليه ولا له ! فيقول : لقد تعب ! جرب ذلك بضعة اعداد ، فأكل المشتركون ثمن الشاطىء وطال انتظاره دون جدوى فكتب عبارة « توزع مجانا » ليريح ويستريح !

ثم اغمض عيني لانسى ان عبد العزيز حقيقة واقعة ! اغمضها كيلا اراه وانا اقول له ولماذا لا تكتفي بالنشر في الصحف وتوصد « الشاطىء » رحمة بأولادك الضعاف ؟ فيقول انا انشر افكاري هنا كما أريد اما رئيس التحرير في مجلة أخرى فله مواضعات خاصة قد لا تقبل كل ما يقال ؟ انا حر يا عم !! واسمع واسمع ثم اقول هذه رابعة المتناقضات !

وتفاجئني دار المعارف ذات يوم وأنا بالمنصورة بعيدا عن عبد العزيز بكتاب نفسي يصدر في سلسلة اقرأ تحت عنوان « الاحلام والرؤى » لمؤلفه عبد العزيز جادو فأتصفح الكتاب فأجده يلم بالحقائق الجديدة لعلم النفس فيتحدث عما يقوله النفسيون عن اللاشعور والحيل الوهمية والعقد المركبة وما الى ذلك وانا اعرف ان تاجر الحديد وصاحب « الشاطىء » وتلميذ الجارم وجبران لم يدرس علم النفس دراسة مدرسية او جامعية ، فلا بد ان يكون عبد العزيز جادو قطعا هذه المرة غير عبد العزيز الاسكندري الذي يسكن في شارع الجمال رقم ٧ في حي كليوباتره بالرمل البهيج ، لن يكون هذا ذاك بحال من الاحوال وكيف ؟ والشاعر يقول :

الشرق منزلنا ومنزلهم   غرب وأين الشرق والغرب

ولكن البريد يسرع الي بهدية من كتاب « الاحلام والرؤى » تحمل توقيع عبد العزيز ! يا لله متى درس عبد العزيز علم النفس وكيف تمكن منه تمكن المؤلف لا تمكن القارىء ؟ واين وجد وقته في دنيا التجارة والصحافة والاولاد ؟ واتلمس الانباء فأعرف ان « الشاطىء » قد احتجبت بعد ان اكلت كل ما ادخر عبدالعزيز ، وان الرجل اراد ان يتصبر بالقراءة فاندفع الى مراجعة كتب كثيرة في علم النفس من اوربية وعربية حتى استطاع في ثلاثة اعوام ان يكون بثقافته الذاتية عالم نفس يضع الكتب المتخصصة كما يضعها اساتذة الجامعات في كليات التربية والاداب !

ويطول عجبي فترجع الي وسوستي وازعم انالرجل شخصية خيالية اذ كيف يحلل النفس البشرية بأدق الاجهزة العلمية بائع مسامير ؟!! ولكن بحوث عبد العزيز تتتابع لتغيظني وتربكني حيث يحمل الي البريد بين الفينة والفينة كتبا نفسية تصدرها دار المعارف لعبدالعزيز تحت عنوان « طريق النجاح » و « كيف تكون سعيدا » و «نحو ابتسامة مشرقة » ثم أرجع الى اعداد « الرسالة » و « الاهرام » و « الاديب » اللبنانية و « الاقلام » العراقية فأجد عبد العزيز يملؤها علم النفس ! فأقول في نفسي هذه العبارة المضحكة التي يقولها المصريون في مجال التعجب والاعجاب « يخرب بيتك يا عبد العزيز » انت شيطان !

وتمضي المفارقات الى نهايتها فيكتب لي بعض الاصدقاء بالاسكندرية ان الشخصية الخيالية تركت علم النفس ، واشتغلت بعلم الروح فلا اكاد اصدق ، ولكني أعلم أن الباحث النفسي الشهير مكدوجل قد خطا هذه الخطوة فجعل ميدانه النفسي طريقا الى البحث عما وراء الغيب ! فربما تكون روحه قد تقمصت روح عبد العزيز فانطلقت بها من شرارة علم النفس الى ما وراء الاثير ! وتصدق الايام ما زعم الصديق فتصدر دار المعارف في سلسلة اقرأ كتابا لعبد العزيز تحت عنوان « الروح والمعلم » ويجيئني البريد بكتاب عبد العزيز ممهوراً باهدائه وتوقيعه ! ولكني اغمض عيني اذ لا استطيع القدرة على مجابهة كل هذه المفارقات من المتناقضات .

وتسوقني الظروف الطارئة الى زيارة الاسكندرية فأهرع الى محل الحديد لاسامر صديقي القديم بعض الوقت فأجد المحل غير المحل . والتاجر غير التاجر فأدهش واتساءل عن صاحبي فافاجأ بأن عبد العزيز جادو يشغل الان منصب المدير للعلاقات العامة باحدى الشركات التجارية الكبرى بالاسكندرية ، لان خبراته الاجتماعية قد جذبت اليه مجلس ادارة الشركة فاختاره مديرا للعلاقات العامة حيث يباشر منصبه بدبلوماسية لا يلم بها سفير متخصص في وزارة الخارجية !! وكم اراح من مشاكل وزال من عقاب ! فأقول في نفسي ربما تسأل عن عبد

اصرار

★

سأمضي للنهاية في صراعي ... أشيد ما تهدم من قلاع
أحطم في طريقي كل قيد ... واسمع من تفافل عن سماعي
دروب التيه زادتني عنادا ... ومر العيش عجل باندفاعي
وخيمتنا تقاذفها رياح ... عرين ضاق من زحم السباع

اذا سلب العدو عزيز ارض ... واحرق ما ملكت من المتاع
وسكين الجريمة في يديه ... يقطع حدها عنق الرضاع
وليل مطبق لم نلق فيه ... سوى درب المذلة والضياع
وأرض العشب في وطني قبور ... لأغنام ومزمار وراع
وحقلي قد غدا للذئب ساحا ... ووكرا للثعالب والافاعي

فاني قد نفضت الذل عني ... وبحر التيه ودعه شراعي
زحفت على دروب الثار حرا ... ابي النفس للايام واع
فلا اصغي لصوت او حديث ... فرشاشي المحكم في النزاع
ولا ارضى بحل ليس يمحو ... كيان الغاصبين من البقاع
بلادي في الجليل وبئر سبع ... وفي حيفا ويافا والقطاع
حدودي النهر للشطآن أمضي ... احرر تربة الوطن المضاع

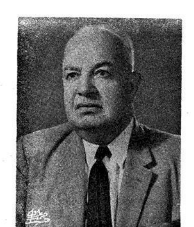
سيهات ـ السعودية ... محمد ابو عبيد

العزيز مرة اخرى فيما بعد فتجده شيخ المعهد الديني ! او اخصائي في شركة الصابون ! او مهندس في مؤسسة النسيج ! ثم يقابلك في كل هذه الوظائف ليثبت اليك انه في كل وظيفة متخصص اصيل ! وكأننا نعدو الواقع الى الخيال .

واخر نبأ تلقيته عن عبد العزيز انه يعكف على خريطة الجزيرة العربية ليحدد الاماكن الادبية القديمة مثل عكاظ وسلع والعقيق وودان والغوير والرقمتين ، وأنه يقرأ مؤلفات ياقوت والبكري وحمد الجاسر وابي علي الهجري وقد كتب عن بعضها بمجلتي «الاديب» اللبنانية و«العرب» السعودية ! فلم ادهش في شيء اذ لو قيل لي ان عبد العزيز صعد في مركبة ابوللو لينزل على سفح القمر مع الامريكان لانشدت قول القائل :

ليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

جرس فلانا

يقولون : جرس فلانا (بتشديد الراء) ، أي ندد به وفضحه . والصواب : جرس (بتشديد الراء) به تجريسا .

اما (جرسه) بتشديد الراء أيضا ، فمعناه : حنكه (بتشديد النون) ، وجعله خبيراً بالامور . ومنه الحديث : قال عمر لطلحة رضي الله عنهما : قد جرستك الدهور . أي : حنكتك ، وأحكمتك ، وجعلتك خبيرا بالامور مجربا .

فالرجل مجرس (بتشديد الراء وكسرها) ومجرس (بتشديد الراء وفتحها) ، وعلى الثاني اقتصر الجوهري .

الجعبة

ويقولون : اخرج ما في جعبته (بضم الجيم) ، أي : ما في كنانته من النشاب . والصواب : اخرج ما في جعبته (بفتح الجيم) . وجمع الجعبة : جعاب (بكسر الجيم) . والجعاب (بفتح الجيم وتشديد العين) : صانع الجعاب . وجعبها (بتشديد العين وفتحها) : صنعها : والجعابة (بكسر الجيم) : صناعته .

وللجعبة معان اخرى ، منها : الجعبة : أكبر أواني الشرب . جمعها : جعبات (بفتح الجيم) وجعاب (بكسر الجيم) . نقله التاج عن المزهر لجلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .

جلب الفقر على أسرته

ويقولون : جلب الفقر على اسرته . والصواب : جلب الى اسرته الفقر ، أو : جر على اسرته الفقر . أما قوله تعالى في الآية ٦٤ من سورة الاسراء : « وأجلب عليهم » فمعنى (جلب) هنا هو : صاح وأحدث جلبة ، أي ضجيجا .

تجلد أمامهم

ويقولون : تجلد امام أعدائه . والصواب : تجلد (بتشديد اللام وفتحها) لاعدائه . أي : تكلف الصبر والقوة واظهرهما . وقد جاء في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي ، التي رثى بها أبناءه الخمسة :

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

اما قول الشاعر :

وكيف تجلد الاقوام عنه ولم يقتل به الثأر المنيم

فقد عداه ب (عن) ، لان فيه معنى تصبر .

جلس بجانبه

ويقولون : جلس بجانبه . والصواب : جلس الى جانبه ، او جنبه (بفتح الجيم وتسكين النون) ، او جنابه (بفتح الجيم) .

جلطة دموية

ويقولون : أصيب فلان بجلطة (بفتح الجيم) دموية . والصواب : أصيب بجلطة (بضم الجيم وتسكين اللام) دموية .

جمادى الاول

ويقولون : ولد في جمادى الاول . والصواب : ولد في جمادى (بضم الجيم وبالالف المقصورة) الاولى . وقد قال الفراء : فان سمعت تذكير جمادى ، فانما يذهب به الى الشهر . وهو القائل : الشهور كلها مذكرة الا جمادين فانهما مؤنثان .

وجمادى الاولى هي الشهر الخامس من شهور السنة الهجرية ، وكانت تسمى جمادى خمسة . أما جمادى الاخرة فهي الشهر السادس من شهور السنة الهجرية . وكانت تسمى جمادى ستة . والشهور الهجرية جميعها مذكرة الا الجمادين . ويخطىء من يقول : جمادى الثانية بدلا من جمادى الاخرة . وجمع جمادى : جماديات او جماد (بكسر الجيم) .

بجمع كفه

ويقولون : ضربه بجمع (بضم الجيم وفتح الميم) كفه . والصواب : ضربه بجمع (بضم الجيم وتسكين الميم) . اي : بكفه مقبوضة . ونقول : ضربه بحجر جمع (بضم الجيم وتسكين الميم) الكف وجمعها (بكسر الجيم وتسكين الميم) . اي : ملئها .

جندب

ويطلقون على أحد أنواع الجراد اسم جندب (بكسر الجيم والدال) . والصواب : جندب (بضم الجيم والدال) ، وجندب (بكسر الجيم وفتح الدال) ، وجندب (بضم الجيم وفتح الدال) . جمعه : جنادب .

جنوبي حيفا

ويخطئون حين يعدلون عن الموصوف الى الصفة عند ذكرهم الجهات الاربع ، فيقولون : تقع يافا جنوبي حيفا . والصواب : تقع يافا جنوب (بفتح الجيم والباء) حيفا .

جهد جهيد

ويقولون : جهد جهيد . والصواب : جهد (بفتح الجيم وتسكين الهاء) جاهد . وتستعمل (جاهد) للمبالغة . ومثلها : ليل لائل .

أما (الجهيد) فهو المرعى تشتهيه الدواب والمواشي .

مجهــــــر

ويسمون الجهاز الذي يظهر الجراثيم الدقيقة جدا بعد تكبيرها مجهـرا (بكسر الميم وفتح الهاء) أي : مكروسكوب . والصواب : مجهر (بضم الميم وكسر الهاء) كما اصطلحت عليه المعاجم الحديثة ، لانه جهــاز حديث ، وربما كان السبب في ذلك اشتقاقه من الفعل الرباعي المتعدي (أجهر) ، واسم الالة ، الذي من أوزانه (مفعل) بكسر الميم وتسكين الفاء وفتح العين ، لا يشتق الا من الفعل الثلاثي المتعدي .

وقد جاء في التاج واللسان :

(١) أجهر الكلام : أعلنه .

(٢) جهرته (بفتح الراء) العين : رآته .

(٣) مجهر (بضم الميم وكسر الهاء) : معروف بشدة الصوت .

(٤) مجهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : صاحب صوت جهوري ، أي : عـــال .

(٥) رجل مجهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : اذا كان من عادته ان يجهر بكلامــه .

أما الآلة المخصصة برقب النجوم ورصد الفلــك (التلسكوب) فنسميها : (مرقب) بكسر الميم وفتح القاف .

أجهشت في البكـاء

ويقولون : بكت فلانة وأجهشت في البكاء . والصواب : بكت فلانـة ورنت (بتشديد النون المفتوحة) أي : رفعت صوتها بالبكاء .

اما أجهشت بالبكاء أو جهشت (بفتح الجيم وكسر الهاء) بـه ، فمعناه : همت (بتشديد الميم المفتوحة) بالبكاء ، وتهيات له .

جـوازات السـفر

ويقولون للمسافرين : احملوا معكم جـوازات سفـركم . والصواب : اجلبوا معكم أجوزة سفركم . و (الجواز) هو الصك الـذي يحملـه المسافر من قطر الى آخر .

تجـول في البـلاد

ويقولون : تجول في البلاد . والصواب :

(١) جال في البلاد يجول جولانا (بفتح الواو) ، وجولا (بفتـح الجيم وتسكين الواو) ، وجؤولا (بضم الجيم) . وقد ورد المصـدر (تجوال) في نهج البلاغة ، في كتاب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى سهل بن حنيف . والمعنى : طاف في البلاد غير مستقر فيها.

(٢) جول (بتشديد الواو وفتحها) في البلاد تجوالا (بفتح التاء) : طاف غير مستقر فيها .

(٣) جول (بتشديد الواو وفتحها) البلاد تجويلا : جال فيهـا كثيـرا .

(٤) اجتال اجتيالا : طـاف .

(٥) انجـال انجيالا : طـاف .

ولم أعثر في المعاجم على تجول (بفتح الاحرف الاربعة وتشديـد الـــواو) .

الجيــب

الجيب ليست فصيحة ، ولكنني لا أرى باسا في استعمالها ، لاننا ليس لدينا في الفصحى ما يقوم مقامها .

وفي المعاجم : جيب القميص : طوقه . والجيب : الصـدر أو القلب . وقد كان العرب يضعون الاشياء الثمينة في صدور ثيابهم ، فيكون استعمالنا لكلمة (جيب) صحيحا مجازيا .

وفي الآية ١٢ من سورة النمل ، والآية ٣٢ من سورة القصص ، تعني كلمة (جيب) : طوق القميص .

أما في الآية ٣١ من سورة النور ، فان كلمة « جيـوب » تعنـي القلوب والصـدور .

الأمـــر

ويقولون : الأمرالذي حملنا على نقل فلان الى المستشفى هو اصابتـه بالحمى . والصواب : ما حملنا على نقل فلان الى المستشفى هو اصابته بالحمى . أو : اصابة فلان بالحمى حملتنا على نقله الى المستشـفى ، لان استعمال كلمة (الأمر) هنـا ، ركيك جدا ، وليس عربي الاصول ، وربما دخل الضاد بأقلام ضعفاء المترجمين .

حـــاد منــه

ويخطئون من يقول : حـاد منـه ، لان المعاجم تقول : حـاد عنـه . والصواب : حاد عنه و حـاك منه ، اذ جاء في الآيـة ١٩ من سـورة « ق » : تحيد منـه .

واستشهد علي اللحياني بقول الشاعر :

يحيد حذار المـوت من كل روعـة ولا بد من موت ـ اذا كان ـ او قتل

احتـار فـي أمـره

ويقولون : احتار في أمره . والصواب : حار في أمره ، لان الفعـل (احتار) لم يرد على لسان العرب . وقد أخطأ ابراهيم طوقان حـين قـــال :

فالنفس بين تهيـب ممـا تـــرى وتلهـب، فاحتـرت مـن أمريهـا

محـــاضرة

ويقولون : أعجبتني محاضرة فلان . والصواب : أعجبتني خطبة فلان ، لان الفعل (حاضر) معناه : سابق في العدو ، او جاء بالجواب حاضرا ، أي : أن يجيب الواحد صاحبه بما يحضره من الجواب .

والمحاضرة : المجالدة ، وهو أن يغالبك على حقك فيغلبك عليــه ، ويذهـب بــه .

وحاضرته حضارا : عدوت معه .

احتـاطوا المدينـة

ويقولون : احتاطوا المدينة . وهذا خطأ اذا لم نشـــا النصب بـنزع الخافض ، صوابه : احتاطوا بالمدينة . أي أحدقوا بها .

خبـز حـــاف

ويقولون : اكلت خبزا حافا . اي : خبز غير مأدوم . والصواب : اكلت خبزا حافا (بتشديـد الفاء) .

ومثله الخبز الكفت (بفتح الكاف وتسكين الفاء) ، والخبز القفار (بفتح القـاف) .

حـافة الـوادي

ويقولون : حافة (بتشديد الفاء المفتوحة) الوادي . والصواب : حافة (بحذف الشدة) الوادي . أي : جـانبه . وجمعها حافات وحيف (بفتح الحاء والياء) وحيف (بكسر الحـاء) وحوائف . الحـاء) وحـوائف .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

الى البير اديب

لئن تك انت بالتكريم احرى ... فلست من الالى بخسوك قدرا
وهل ينسى الودود أخا وداد ... به هصرا ربيع العمر هصرا
فكيف مع احتقابك كل فضل ... به لا تستحق لدي شكرا
فان تكن الجسوم بنا تناءت ... فانك بي متى عاهدت ادرى
وان يكن المشيب طفى علينا ... فما صدأ الشبا بالسيف ازرى
أخا الستين وهي بدور تم ... لكم اطلعن في الظلمات فجرا
وكم ذللن للاصلاح سبلا ... وان يك مسلك الاصلاح وعرا
فكنت الواضع المنهاج بينا ... قصرت على السياسة منه شطرا
وما كان (الاديب) مدار قصد ... لكي تزجى الهبات اليك تترى
وان تتدارك الماضي بعهد ... تقلتم للسياسة فيه ظفرا
ولكن و «الضياء» (١) جرى فجلى ... وكان لهيع الاداب ذخرا
فجاوز هامة الجوزاء شأوا ... وكاد على « الضياء » يتيه فخرا
ترديت البرود البيض فيه ... تنشقنا من الاردان عطرا
تطل على الشباب وانت فيها ... تجاوزت الشباب الفض عمرا
فلا لبنان فاقك في علو ... بمجبرة ولا استثنيت مصرا
ولا كان الظليم لديك حق ... غداة الامس قد وليت أمرا
ولم يك دابك الزلفى بدرب ... ولا قدم مشى لك فيه شبرا
ولم يك من سجيتك التقاضي ... لما قلدت جيد الضاد أجرا
فلا أدنيت نفسك من يسار ... ولا ابعدت فيه عنك فقرا
وهل كان اليراع سوى اداة ... به يبغي امرؤ للحق نصرا
وكم رهط زرت بهم الاماني ... قد اتخذوه للاثراء جسرا
فصار معرة منه عرار ... له عبق يحاكي الطيب نشرا
وما الافراط في خلق زري ... بملتمس لدى القراء عذرا
وهل كان الخلود حليف رهط ... تسامى للعلى من حيث أثرى
كان ذواتهم ادوات شر ... ومنها يستمد الشر شرا
اذا نبوا لقول الحق صموا ... ولم ير منهم بالنصح برا
فأصبح للضمير النطق دمعا ... واصبح بالسداد النطق هجرا (٢)
وكاد الشعب يمسي في ظلام ... غداة غدت مباني العدل دثرا
بصد عن مساعفة التصافي ... كأن بسمع بعض القوم وقرا
فمرحى « للاديب » والف مرحى ... لمن قد شد للآداب أزرا
يباري النجم في سبل المعالي ... كأن له لدى الافلاك ثأرا
فان حسدتك افئدة مراض ... أليس مقدروك اليوم كثرا ؟

(١) مجلة الضياء للعلامة الشيخ ابراهيم اليازجي .
(٢) الهجر هنا معناه هذيان المحموم .

محمد كامل شعيب العاملي

بائعة المرطبات

بقلم عبد الحميد الانشاصي

كان اسماعيل على فقره واسع الحيلة يعرف كيف يبيع ويفي بحاجات أسرته المؤلفة من زوجته فاطمة وبناته السبع وطفله الذي يبلغ الرابعة من عمره . حينما رزق ابنته الكبرى لطفية قطب وعامل زوجته معاملة سيئة . وكأن الله اراد ان يؤدبه اذ زرقه ابنة ثانية سمتها زوجته كريمة . وتلت تينك البنتين خمس بنات أخريات . فغضب اسماعيل ، وثار في وجه زوجته منزرا بالطلاق . ولعل الله رق لزوجته الساذجة المتواضعة اذ وهب لها ولدا ذكرا . فاطمأن اسماعيل ، وشعر بغبطة وراحة في نفسه .

حرفته بسيطة : صنع المرطبات للظماء من الناس في أيام الصيف القائظة ـ اشربة من السوس والخروب والتمر الهندي والليمون . وكان يقدم الوان الشراب في زاوية من زوايا منعطف متفرع عن شارع صفير . وكان يرى وحوله عدد من العتالين وماسحي الاحذية وعمال المصانع والباعة المتجولين ، انه فقير سيء الحال ، والمكان الذي يبيع فيه متواضع لا شأن له . وكذلك زبائنه فقراء مغمورون .

اسماعيل يرتدي بنطلونا طويلا من الكاكي رخيص الثمن حائل اللون ، وطاقيته قديمة قذرة من الصوف الخشن . لا يحلق ذقنه ولا يحلق الحلاق شعره في انتظام . ولكنه يعنى بشاربيه الكثيفين الشرسين . انه يشذب من شعرهما ويبرم طرفيهما من حين الى اخر مما جعله يبدو شابا قويا معتزا بنفسه . وهذا ما جعل زبائنه يهابونه ويحترمونه . وهم يحبونه لانه يقدم كؤوس الاشربة مملوءة او فائضة بما تحويه . وتلك الاشربة متقنة الصنع حلوة المذاق لذيذة الطعم .

(اسماعيل يساير زبائنه ولكنه قاس على زوجته واولاده ، يمزج أشربته المثلوجة التي يقدمها الى الزبائن بكلمات حلوة وابتسامات مشرقة تزيد الاشربة حلاوة في افواه شاربيها . ولكنه يمزج الاطعمة التي يقدمهاافراد اسرته بالتنكيدوالسخط والانتهار والضرب . وهذا ما جعل افراد اسرته يخافونه ويبغضونه وان كانوا يحترمونه) .

زوجته فاطمة جميلة ولكنها ساذجة تبتلع الاهانات التي يصبها عليها زوجها في صمت وهدوء وتبدو كأنها لا تشعر بما ينخس به قلبها من آلام . انها تطيعه في كل أمر كأنها تتفانى في حبه .

(فاطمة ليست راضية عن حياتها مع زوجها . مرارا ثارت في نفسها وتمنت لو انها انفصلت عنه وتزوجت برجل اخر ولو كان افقر منه ، اذ همها ان تتخلص من نكده وسوء خلقه . ولكن أهلها كانوا يحولون دون ذلك . واولادها اجتذبوها الى منزل زوجها بسلاسل من حديد خفية) .

ابنتها الكبرى لطفية صبية على شيء من الجاذبية وان لم تكن على شيء من الجمال الصارخ . تجذب ببياض لونها واهداب عينيها الكثيفة كثافة شاربي أبيها . ولسواد عينيها حلاوة تترك في النفس تأثيرا اشد مما يتركه شراب التمر الهندي من اللذة في فم شاربه .



(لطفية أنساقت في طريق الرجال من حيث لا تدري . انها تقلد اباها في قوته وصرامته ورزانته . ولا يدرك ما في طباعها من خشونة الذكورة الا من خالطها وعاشرها . ان الفتيات اللواتي يعاشرنها يلاحظن ذلك . ومنهن من كاشفنها بحقيقة طباعها بلا خوف او حياء . وبعض الشبان من الجيران ادركوا ذلك ، فأداروا وجوههم عنها كلما مرت دون ان تخضع قلوبهم لجاذبية وجهها وسهام عينيها السوداوين . لا يميل الى فتاة كهذه سوى شاب مهذب الطباع حيي خجل يفتقر الى فتاة جريئة تشاركه في الذب عن نفسه في معترك الحياة) .

★

اصيب اسماعيل فجأة بمرض اقض عليه مضجعه . وقد تبين له بعد الفحص الطبي ان المرض هو التهاب في الكليتين . غير انه اهمل ذلك المرض ولم يلتمس له علاجا لجهله وفقره ، فازداد حدة حتى الزمه الفراش . وبعد مضي بضعة اشهر قضى عليه .

حارت الاسرة في امرها اذ اضحت الان بلا عائل يكسب لها رزقها ويعينها على قضاء حاجاتها . نعم ، لقد ترك لها اسماعيل ثلاثمائة دينار. ولكن ما قيمة هذا المبلغ ازاء نفقات تلك الاسرة الكبيرة ؟ ماذا تفعل لكي تضمن لها الرزق ؟ ان المال ينقص مع الايام شيئا فشيئا . ليس في الاسرة الا سبع بنات وطفل . وليس لهم من الاقرباء احد . الاسرة منقطعة لا يعبأ بها احد . والجيران الذين كانوا يبتسمون في وجوه افراد تلك الاسرة صاروا اليوم يختلسون اليهم نظرات الاسى والاسف ، والنفور والهرب الخفيين .

قالت لطفية ذات يوم لامها :

ـ امي ! ماذا ننتظر ؟ ان بقينا على هذه الحال متنا جوعا وهما .

(انك قليلة الحيلة ضحلة التفكير) .

فمالت فاطمة برأسها الى ناحية في حزن وقالت :

ــ وماذا تريدينا ان نفعل يا بنتي؟ ليس بيننا شاب يعمل من اجلنا . اننا نساء ، والذكر الوحيد بيننا صغير السن ، انه طفل . فماذا يمكننا ان نفعل ؟

فرفعت لطفية رأسها في شموخ وثقة قائلة :

ــ الا تثقين بي يا امي ؟

(انني اساوي خمسة شبان) .

ــ ماذا تعنين ؟

فولدت لطفية ابتسامة خفيفة ، واجابت بصوت منخفض :

ــ يمكنني ان اعول الاسرة كلها .

(جربي . سترين) .

فابتسمت امها ابتسامة ساخرة وقالت :

ــ هـه ! انت ؟ مسكينة انت يا بنتي !

(ماذا جرى لعقلك ؟ انك بنت منزوية في الدار لا تتقنين من الاعمال شيئا) .

فحدجت لطفية امها بنظرة ثائرة ، وقالت بنفحة قوية مرتفعة :

مسكينة ! انا مسكينة ؟ الا تثقين بي ؟ ان في استطاعتي ان اقوم بما كان والدي يقوم به من الاعمال .

(بل افوقه براعة في صنع الاشربة) .

فوضعت فاطمة كفها على خدها ، وقالت في استخفاف :

ــ تبيعين الاشربة في السوق !

(هل انت رجل يا حمقاء ؟)

ــ لقد تعلمت من ابي صنع الاشربة ، وصرت اتقنها كما كان يتقنها . من يقدم الى زائراتنا شرابي التمر الهندي والليمون ؟ انا . من يصنعهما ؟ انا . اليس كذلك يا امي ؟

ففكرت فاطمة هنيهة ثم اجابت :

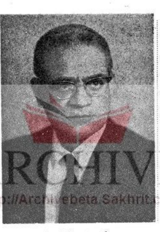
ــ ولكنك فتاة . والفتاة لا تبيع في السوق ، ان الرجال لا يسمحون لها بذلك .

(هل تريدين أن تجلبي علينا العار يا مجنونة ؟) .

ــ وكيف يسمح لنا الرجال بأن نموت جوعا ؟ هل يرضيهم ان نموت جوعا ؟

(نحن ما لنا وللرجال ؟ اتركي الامر لي . انني اعرف كيف اكسب عطفهم وحبهم واحترامهم) .

وبعد جهد شديد وجدال طويل استطاعت الفتاة أن تقنع امها . فكرت لطفية في الامر مليا . لم يبق لدى امها من المال الذي تركه والدها سوى مائتي دينار . واذن فتكاليف



عبد الحميد الانشاصي

●

مشروعها يجب الا يتجاوز المائتي دينار . لا بد لها من ان تعرض الاشربة المثلوجة في كشك صغير بجانب احد الحوانيت . ان ايجاره ضئيل . وبعض ذلك المبلغ يكفي ثمنا للمواد اللازمة للاشربة كالاباريق الزجاجية الضخمة والكؤوس الانيقة . ان المواد التي كان يستعملها والدها من نوع رخيص لا يصلح للمشروع الذي اعتزمت ان تنفذه .

★

وقفت لطفية في الكشك ، وقد انتصبت اباريق الاشربة الضخمة بينها وبين الجمهور . وقفت منتصبة القامة مرفوعة الراس مستوية الكتفين ، غير ان نظراتها كانت تزوغ تارة الى اليمين واخرى الى اليسار فرارا من نظرات المستطلعين المستغربين . وبذلك ناقضت نظراتها الجبانة هيئتها الجريئة . بدت بجسمها في مظهر الشجاع المستعد للمقاومة ، وبدت عيناها في مظهر الضعيف الهارب . وكان الرجال يمرون بكشكها وهم ينظرون اليها ، وقد طفت على وجوههم ابتسامات ساخرة وكمنت في قلوبهم ثورات ساخطة . لم يتقدم منهم أحد لشراء كأس من الشراب . لقد فتحوا لها عيونهم بدون ان يفتحوا لها محافظ نقودهم . والاباريق الزجاجية ما زالت ممتلئة بالاشربة دون ان يصب منها شيء . اتكأت لطفية بكوعها على حافة شباك كشكها في تأمل وتفكير وحزن . وقد ولد وضعها ذلك فتنة واغراء للرجال . ولكنهم ما زالوا محجبين عن شراء الاشربة مبتعدين عن وجهها الابيض واهداب عينيها الكثيفة .

(أصوات من الداخل : ما لكم مبتعدين عني ايها الرجال ؟ الستم راضين عن فتاة تبيع لكم الاشربة المثلوجة ؟ هل انا غريبة عنكم ؟ انني مسؤولة عن اسرة كبيرة . اعذروني فانني كبرى اخوتي . واخي ما زال طفلا . شجعوني لكي اتمكن من ان اعول امي واخواتي واخي الصغير . ان شرابي منعش ولذيذ . تعالوا الي ! جربوا ! ان اليد التي تقدم كؤوس الاشربة الحلوة هي يد فتاة حلوة مثلها . الا يعجبكم ذلك ؟ الا تتمنون أن تتناولوا الكؤوس من يد فتاة جميلة مثلي ؟ انني موقنة انكم تؤثرون يدي على ايدي الرجال التي تمتد بكؤوس الاشربة المثلوجة . اساخطون انتم علي أم خجلون مني ؟ اشربوا ولو مرة واحدة . انني على يقين بأنكم ان شربتم مرة واحدة كررتم الشراب

مرارا) .

« اصوات من الخارج : — يا لك من فتاة وقحة ! يا لك من صبية جريئة لا فتاة غيرك تبيع الناس شرابا مثلوجا . اليس لك والدان يردعانك عن هذا العمل الذي لا يمارسه الا الرجال ؟ انك واقفة في كشك تنظرين الينا بعينين جريئتين كأنك تتحديننا. تفءعليك ! — لا شك ان هذه الفتاة ساقطة، وقد احترفت بيع الاشربة للرجال لكي توقعهم في شرك فتنتهاواغرائها . — أنصرفي من هنا ايتها الفتاة المترجلة ! الزمي بيتك وابتعدي عن الرجال ، ليس مكانك هنا . انه في البيت حيث تطبخين وتغسلين وتكنسين — لعن الله اباك! لو انني ابوك لذبحتك ذبحا . لا شك ان والدك مجنون . — لعن الله امك ! ان امك امرأة عاهرة » .

(منظر في الداخل : تصيح لطفية ساخطة ، ثم تكسر اباريق الاشربة بضربات عنيفة من قضيب حديدي ، ثم تخرج من الكشك في سرعة وتقف في الشارع ممسكة خاصرتيها بيديها وقائلة : « يا لكم من وحوش ضارية ! ما الذي استغربتموه مني ؟ العمل ! أليس العمل شرفا للانسان ؟ » . ثم تبصق على الارض ، وتمضي الى بيتها بحركات عصبية) .

سمعت من الرجال كثيرا من الكلمات القارصة وهم يتهامسون فيما بينهم في شأنها او وهم يمرون بها مسرعين ، فثارت نفسها سخطا ، وكادت تبكي من الغيظ . ولكنها تمالكت وتظاهرت بعدم الاكتراث ، وأملت أن يتقدم بعض الرجال ويشتروا شيئا من الاشربة . لقد ادركت انهم لم يتعودوا ان يتناولوا الاشربة من ايدي الفتيات ، وانه لا بد من مضي وقت طويل قبل ان يفعلوا ذلك .

وكان شاب أسمه زهير يراقبها عن بعد . وقد آلمه ان يبتعد عنها الظماء من الرجال . عد ذلك جبنا وجهلا منهم . وقد جال في خلده ان تلك الفتاة لا بد ان تكون قد اضطرت الى مزاولة هذا العمل الذي لا يقوم به الا الرجل . لذلك اعتزم ان يكون اول رجل يشجعها على مزاولة بيع الاشربة . انه بائع نوفوتيه ، وحانوته يقع في صف الحوانيت الموازية لكشكها . وقد اغتنم الفرصة حينما زاره ثلاثة من اصدقائه في حانوته ، فأوعز الى صبي عنده في الذهاب الى لطفية وشراء اربع كؤوس من شراب الليمون والتمر الهندي . وبينما كانت لطفية متكئة على شباك الكشك في تأمل وذهول اذ تقدم اليها الصبي وطلب منها أن تعطيه اربع كؤوس من شرابي الليمون والتمر الهندي . فأفاقت من حلمها النهاري منتفضة ، وقالت للصبي مبتسمة العينين والثغر :

— لمن ؟

— لمعلمي . هناك

واشار بيده الى حانوت زهير . القت نظرة امامها ، ولكنها لم تستطع ان تعرف الى اي رجل اشار الولد بيده . ملأت اربع كؤوس من الشرابين المطلوبين بيد تهتز فرحا ، وقدمت الكؤوس على صينية نظيفة وجميلة الى الصبي . فحملها ومضى الى حانوت معلمه . وكانت لطفية تتبعه بنظراتها حتى وقعت عيناها على زهير، ووقعت عينا هذا عليها . وقد لاحظ ذلك جار زهير ، واسمه رفعت ، فطلب من الصبي ان يأتيه بكأس من شراب الخروب . فجاءه الصبي بالكأس المطلوبة . وبعد برهة عاد الصبي بالكؤوس واثمان محتوياتها . فشعرت لطفية بانتعاش شديد وامل عظيم وان لم يتقدم أحد بعد هذين التاجرين لشراء شراب له .

★

« — الم اقل لك ان الرجال لا يسمحون للفتيات ببيع الاشربة المثلوجة في السوق ؟ ها قد بارت الاشربة . فماذا نصنع بها ؟ — اصبري يا امي . انتظري . لا بد ان انجح فيما بعد . انني اتقدم في طريق النجاح والتوفيق خطوة خطوة . هذه هي الحياة . — سوف نرى » .

وفي اليوم التالي اجترأ زهير فتقدم هو نفسه وطلب كأسا من الخروب . وكانت عيناه عالقتين بوجهها الجذاب ويديها وهي تصب الشراب في الكأس . أعجب بجرأة تلك الفتاة وقوة شخصيتها اللتين قاومت بهما الرجال وصبرت على سخطهم وتذمرهم . انه شاب بسيط خجل ليس من عادته الاقدام على شيء . كثيرون من اصدقائه يعيرونه بجبنه وخجله . لذلك كان عجيبا منه ان يجترىء ويأتي ما لم يستطع غيره من الرجال أن يأتوه — ان يقف امام كشك تلك الفتاة ويطلب كأسا من الشراب . كل الانظار حطت عليه .

(اصوات من الداخل : انني اشعر بميل شديد اليك أيها الشاب لانك اول من اشترى شرابا مني . انك اول نصير لي . ومعنى ذلك انك غامرت بحسن سمعتك ولم تبال بما يقوله الناس فيك . ترى هل ترضى بي زوجا ايها الشاب ؟) .

(اصوات من الداخل : انني اشعر بعطف عليك ايتها الفتاة الجذابة . ان عينيك السوداوين سقتا قلبي قبل ان يسقي الشراب فمي . لا يمكنني ان امنع نفسي من التفكير فيك . من يدري قد اتزوجك وان مانع والداي في ذلك) .

وكما علقت عينا زهير بوجه لطفية ويديها وهي تصب الشراب فيالكأس علقت ايضا عينا لطفية بوجهه ويده وهو يحسو الشراب من الكأس على مهل . وما كاد زهير يفرغ من الشرب حتى رأى جاره رفعت واقفا بجانبه. التفت الى جاره حينما قال هذا للطفية :

— كأسا من الخروب من فضلك .

صوت البلبل

ما للمليحة في هم واحزان ... تئن ثاكلة من جور أزمان
تبكي على بلبل كانت تدلله ... فمات في سجنه كالمجرم الجاني
يا ليتها استوعبت لحنا يردده ... فادركت غور أشجان وأحزان
توهمت شدوه من حزنه طربا ... فجرحة الصوت فيها أنة العاني
يشكو بانشاده حرية سلبت ... كم من شعوب شكت من ظلم انسان
كم هز نفسا نشيد منه يرسله ... شوقا لالف وافنان وغدران
يقضي الحياة على لحن يوقعه ... واجره بعد ان يطوى باكفان
لو يدرك البلبل الفريد بلوته ... من شدوه لتمنى صوت غربان
كيلا يكون اسير الفن في قفص ... فتنعم الخود في أذلال فنان
كفي الدموع فما بالدمع مغفرة ... فالله يصفح عن ذنب باحسان
لا تبعدي طائرا عن الفه ابدا ... فالالف حب وعش الحب طيران
أترتضين حياة الزهد مفردة ... فيذبل الورد ريانا بنيسان
وتحبسين بدار لا رفيق بها ... تبارك الحب اس الكون زوجان
ويجمل الحسن في فن يواكبه ... فالحسن والفن في الدنيا رفيقان
دعي البلابل في الادواح سارحة ... فتملأ الجو في ارسال الحان
لا تحرميها نشيدا من سعادتها ... كنازح غاب عن جنات لبنان

سان بولو ــ البرازيل ... فيليب لطف الله

(سنرى أينا يتغلب على الاخر) .

وتبادل زهير ورفعت نظرات التحدي والغيرة . واتفق ان مر رجل بالكشك ، فرأى رفعت يتناول الشراب من يد الفتاة وبجانبه زهير . تردد اول الامر في شراء كأس له ، ولكنه لم يلبث ان اجترأ حينما وقعت عيناه على ذينك الشابين وطلب كأسا من شراب الليمون . وبعد قليل حذا حذوه سبعة رجال في أوقات متباعدة . فشعرت لطفية بغبطة وابتهاج ، وايقنت أنها تتقدم في طريق التوفيق .

مضت بضعة ايام واشربة لطفية تزداد رواجا . وفي ذات يوم رأى زهير جاره رفعت واقفا هو وصديقان له امام كشك لطفية وهم يتناولون اشربة مثلوجة . فمضى زهير الى الكشك وطلب كأسا من التمر الهندي . وقال رفعت لصديقيه بعد ان دفع عنهما ثمن الشراب :

ــ غدا أذهب بكما في سيارتي الخاصة الى حديقتي فنقضي اوقاتا كلها غبطة وسرور .

(دعي زهيرا فانه شاب فقير) .

ثم القى نظرة على زهير ولطفية ، وقال له احد صديقيه :

ــ فرحنا الله بعرسك !

(بائعة المرطبات جميلة تستحق حبك) .

ولكن لطفية لم تنظر الى رفعت بل وجهت نظراتها الى الارض . ولما فرغ زهير من الشرب القى نظرة ساخطة على رفعت وصديقيه ، ثم قال لرفعت مبتسما :

ــ ان الذي يكذب في اسعار البضائع يكذب حينما يشتري البضائع .

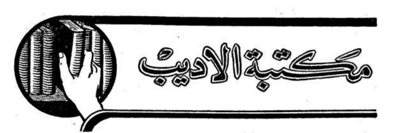
ثم أعاد كأسه الى لطفية ، وقدم اليها ثمن الشراب ، والابتسامة التي علت عينيه وشفتيه وهو يحادث رفعت ما زالت مرسومة على وجهه. فأجابته لطفية بابتسامة مثلها .

تكرر اللقاء بين زهير ولطفية ، ولمحا الى ما يكنه قلباهما من الحب. ثم اتفقا على الزواج .

★

« ــ أرأيت يا امي كيف ان في استطاعتي أن ابيع الاشربة المثلوجة في السوق وان اعولكم جميعا ؟ ــ انك فتاة حاذقة يا لطفية . انت تساوين عشرين رجلا . ــ لقد راجت أشربتي . انها لم ترج وحدها بل رجت انا ايضا معها . ــ ماذا تعنين ؟ ــ لقد اتفقت انا وتاجر محترم على الزواج . أصحيح ما تقولين ؟ ــ اجل . انني احبه وهو يحبني . عما قليل اتخلى عن بيع الاشربة لاختي كريمة » .

عمان ... عبد الحميد الانشاصي



الموســوعــة الادبيــــة

تاليف عبد السلام طاهر الساسي ـ الجزء الاول ـ ٣٥٢ صفحة ـ دار قريش للطباعة والصحافة والنشر بمكة المكرمة

عبد السلام الساسي من خيرة ادباء المملكة العربية السعودية وكتابها المشهورين ، ومؤلفاته عن الادب السعودي الحديث مصدر مهم يرجع اليه الباحثون والدارسون ، بل هي من أوثق المصادر الادبية التي لا غنى عنها لاي كاتب او اديب .

وقد صدر له عام ١٣٥٥ هـ. بالاشتراك كتاب « نفثات من أقلام الشباب الحجازي » . وفي عام ١٣٦٨ هـ. أصدر كتابه « الشعراء الثلاثة » ، وفي عام ١٣٧٠ هـ. ظهر كتابه « شعراء الحجاز في العصر الحديث » .

وها هو ذا الجزء الاول من « الموسوعة الادبية » ، التي ستقع في اربعة اجزاء ، وتؤرخ للادب العربي السعودي الحديث واعلامه ، من ادباء وكتاب وشعراء ، وهي بحق دائرة معارف كبيرة ، سوف تيسر سبيل الاطلاع على هذا الادب والكتابة عنه .

وللساسي كتابان اخران ، هما « في ظلال الصراحة » الذي صدر عام ١٣٧٢ هـ ، و «نظرات من الادب المقارن » الذي صدر عام ١٣٧٧ هـ .

ونحن نقدر هذا المجهود الطيب ونحمده ، ونرجو ان يثابر الساسي على أعماله الادبية الجليلة ، التي تتسم بالجد والصدق والامانة ، وشرف القصد ، ونبل الغاية .

وهذا الجزء من الموسوعة الادبية ، الذي بين ايدينا ، يدل على اخلاص الساسي لوطنه ، ومدى حبه لادب بلاده ، ورغبته في تخليده ، وتخليد اعلامه .

ولا شك ان هذا الكتاب ، بأجزائه المتعددة، سيصبح مصدرا جليلا في الدراسات الادبية عن الادب السعودي المعاصر ، وقد اهداه الساسي الى اعلام العلم والادب في المملكة .

ومصادر الساسي التي رجع اليها في تاليف كتابه تعد من المصادر العلمية المحترمة ، ومن بينها : العدد الخاص الذي صدر من مجلة « المنهل » عن ادباء المملكة في نوفمبر عام ١٩٦٦ و « أدب الحجاز » لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان شيخ المفكرين في المملكة ، و « شعراء نجد المعاصرون » للكاتب المعروف الاستاذ عبد الله بن ادريس ، و « شعراء هجر » للاستاذ عبد الفتاح الحلو ، و « شعراء الجنوب » للاستاذين احمد علي السنوسي ، ومحمد بن احمد عيسى ، و « التيارات الادبية » للاستاذ عبد الله عبد الجبار . وهي مصادر ذات قيمة علمية كبيرة .

ولا ننسى انه استعان فوق ذلك بمشافهة المعاصرين من الادباء ، واخذ عنهم ، وروى لهم ، واستفاد منهم .

وهذا الجزء مصدر بكلمة لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ، وفيها تنويه بفضل الساسي ومجهوده الكبير ، وهي براعة استهلال لهذا العمل الادبي الضخم .

وقدم له الشاعر الكبير ممد حسن عواد بمقدمة ضافية اشاد فيها بالتطور المستمر الذي يسير فيه الادب السعودي المعاصر ، والذي شاركت فيه المرأة الرجل ، فظهر عام ١٩٦٣ ديوان « الاوزان الباكية » لفتاة من المملكة لقبت خنساء الجزيرة العربية ، وهي ثريا محمد قابل ، وظهر معه ديوان « أغاريد الصحراء » لفتاة سعودية اخرى لم تعلن اسمها ، كما تحدث العواد في المقدمة عن منهج الساسي في كتابة هذه الموسوعة ، وانه ترك الدراسة والتحليل والمقارنة والاستنتاج ، واكتفى بالسرد والتسجيل والرواية ، شانه في ذلك شان مؤلفي الموسوعات . وحجته ان النتاج الادبي هو الذي يعبر عن نفسه ، ويحدد قيمته ، ويقرر مكانة صاحبه الادبية .

والكتاب على الجملة ـ كما يقول مؤلفه ـ دائرة معارف لابرز ادباء المملكة .

والساسي من اسرة علمية مشهورة ، ومنها الطيب طاهر الساسي (١٣١٠ ـ ١٣٧٨ هـ.) ، وعبد الله طاهر الساسي .

يحتوي هذا الجزء على تراجم مفصلة لاربعين اديبا وكاتبا وشاعرا من البلاد السعودية ، وترجمة واحدة لشاعرة سعودية هي ثريا محمد قابل صاحبة ديوان « الاوزان الباكية » .

ويشمل هذا الجزء تراجم الاعلام المشهورة المبدوءة بحرف أ ، ثم باء ، ثم تاء ، ثم ثاء .

ومن الاعلام التي وردت في هذا الجزء : ابراهيم اسكوبي شاعر المدينة (١٢٦٩ ـ ١٣٣٢ هـ) ، واول من فتح باب الشعر السياسي بين شعراء عصره كما يقول السيد علي حافظ ، وقصيدته الرائية السياسية المشهورة اول قصيدة سياسية في الشعر الحجازي الحديث ، كما يقول الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودي مدير تحرير مجلة الحج ، ورئيس تحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي ، أطال الله في عمره . وكان اسكوبي معاصرا للبارودي رحمهما الله .

ومن الاعلام كذلك ابراهيم امين فودة الشاعر المشهور الموهوب ، وابراهيم فلالي ، واحمد ابراهيم الغزاوي شيخ الشعراء ، واحمد السباعي شيخ الصحفيين ، والكاتب السعودي الكبير احمد عبد الغفور عطار ، صاحب المؤلفات العديدة ، والتحقيقات اللغوية والعلمية المفيدة .

ومنهم : احمد العربي ، واحمد قنديل الذي يلقب بلامرتين العصر ، واحمد محمد جمال ، واحمد علي ، واحمد الفاسي ، واحمد عمر عباس ، وانور عشقي (١٢٦٤ ـ ١٣٣٦ هـ) .

ومنهم : شاعر الامراء الامام تركي بن عبد الله بن سعود ومنهم : أحمد علي المبارك وهو خريج كلية اللغة العربية بالازهر ، وابراهيم الداوخ وهو خريج كلية اللغة العربية بالرياض ، وابراهيم العلاف وكذلك احمد العربي ، وهما من خريجي كلية دار العلوم بالقاهرة .

ومنهم ادباء تخرجوا من الجامعة الامريكية ببيروت ، مثل الاديب الكبير احمد عبد الجبار ، واخرون تخرجوا من جامعة القاهرة مثل الكاتب الكبير الاستاذ احمد صالح شيطا (١) او من كلية الاداب بجامعة الرياض مثل الاستاذ توفيق ابو داود .

ومن الاعلام التي ترجم لها صاحب الموسوعة الشريف بركات بن عبد المطلب الهاشمي ، من شعراء القرن العاشر واوائل الحادي عشر ، وهو من اشراف مكة .

---

(١) ترجم من الانجليزية كتابا عن الاثار في الحجاز ، وهو مطبوع

ومنهم شعراء وادباء من المدينة ، واخرون من شعراء الجنوب مثل احمد عبد الفتاح الحازمي ، واخرون من الاحساء مثل احمد راشد المبارك وهو من ادباء الاحساء ، واحمد مشرف (١٢٠٠ - ١٢٨٥ هـ) شاعر الاحساء .

والقيمة الكبيرة لهذه الموسوعة هي المختارات الادبية والشعرية النادرة الكبيرة الاهمية ، التي الحقها المؤلف بتراجم الاعلام الذين تحدث عنهم ، وهي صورة صادقة للادب السعودي الحديث وتطوره في مدارج الازدهار والنهضة . واغلب هذه المختارات من الشعر ، وبعضها من باب الدراسات الادبية والقصة والمقالة وسواها . وهذا مما يضاعف من قيمة الكتاب الادبية والعلمية ...

وفي هذه المختارات ، التي اختارها المؤلف لمن ترجم لهم ، آراء جليلة في الادب والشعر وغيرهما ..

يتحدث الشاعر الكبير الغزاوي - كما يقول الساسي - عن تطور الفكر العربي السعودي ، وان من أعظم ما شملنا به التطور الحديث هذا الفيض الزاخر من الشعراء والبلغاء والخطباء والادباء والمؤلفين والمؤرخين والمعلمين ، وهذه النهضة المتغلغلة في كل بادية وحاضرة .

ويتحدث الكاتب الكبير احمد محمد جمال عن ادب المملكة فيشير الى المعركة بين الشباب والشيوخ ، ويذكر الطبقة البانية من ادباء الشباب مثل عبد العزيز الربيع الذي يغلب عليه الاتجاه النقدي ، كما يذكر اراء الشيوخ من الادباء في هذا الادب ومقوماته ، ويسجل اراءه الخاصة في ادب الشباب والشيوخ ، ودور الجامعيين في الادب السعودي الحديث ، ويشير الى المعارك الادبية التي قامت في هذا الادب ، كالمعركة التي قامت بين الاديبين الكبيرين حمد الجاسر وعبد القدوس الانصاري حول ضبط « جدة » ، وهو يدعو الى الالتزام في الادب ، ويعني الالتزام برسالة الاسلام وقيمه الانسانية ، وبأصول الادب العربي ومقوماته . ويتحدث عن ادباء الشباب وما ينبغي لهم ، وعن الادب النسوي وهل ظهر في بلاده ؟

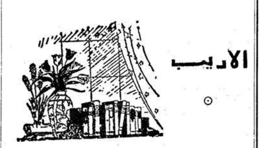
اما الاديب الكبير احمد عبد الغفور عطار فيتحدث عن الادب الحديث في بلاده ، ويؤكد وجود هذا الادب في الشعر والنثر والقصة والرواية ، لا في النقد ، ويعلل لعدم تطور هذا الادب ، ويقول : على ان ادبنا ليس ادبا هزيلا بالقياس على الاداب في البلدان الشقيقة ، ويسهب في بيان جناية التقليد عليه ، وفي بيان مقومات هذا الادب ، ولكنه في اخر بحثه يقول : ادبنا الحديث - الا النادر - ادب مفقود الشخصية والسمات بسبب فقدان الحرية والصدق الفني والتجربة الناضجة والابداع ، وبسبب التقليد .

ويذكر احمد عمر عباس الاديب السعودي الراوية المحدث الندوة الادبية الرفيعة التي يقيمها الاديب الكبير عبد العزيز الرفاعي ، ويؤمها اعلام الادب في بلاده وغيرهم ، ومن روادها الشاعر الكبير حسن القرشي ، والصحفي الموهوب الاستاذ علي العمير ، والشاعر الجليل ماجد الحسيني ، وسواهم ، ويتحدث عن بعض مضامين النقاش الادبي الذي يدور فيها ، وعن روادها من ضيوف البلاد ، مثل الشاعر السوري الكبير انور العطار ، ومثل العالم الكبير الدكتور فوزي هنانو .

ويتحدث الاديب الكبير احمد عبد الجبار عن الادب الحديث في الحجاز فيصفه بانه ادب فتي ما يزال في الطور الاول من اطوار نهضته ونضوجه ، فهو ماض الى الامام ، سائر بخطوات ناجحة موفقة، لا يسع المنصف تجاهلها .

ويذكر الاستاذ الكبير امين مدني صاحب كتاب « العرب في احقاب التاريخ » الشعر العربي في بحث عميق جليل ، فيبين انه عريق مثل لغته .

وهكذا يطوف بنا الاستاذ الكبير المؤلف في كل واد ، ويسير بنا في كل منعطف ، ، وينقلنا الى القصة في ادب الفلالي ، والى رسالة



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الاديب كما يصورها الاستاذ ابراهيم الناصر ، والى ادب السباعي الرائع ، وكتابات احمد صالح شطا ، واحمد علي ، وامين سالم رويحي ، وبسام محمد البسام وسواهم .

وهذه المختارات القيمة ذات اهمية كبيرة في فهم الادب السعودي المعاصر . ويضاف الى ذلك المختارات الشعرية الرفيعة ، التي تضمنها الكتاب ، فهي ذات دلالة صادقة على شاعرية اصحابها ، وعلى تطور الشعر السعودي الحديث .

اننا نعتز بهذا المجهود الادبي الصادق ، ونقدره حق قدره ، ونهنيء الساسي بما صنع ، ونتمنى له التوفيق والسداد .

الرياض **محمد عبد المنعم خفاجي**

●

حب وثورة

قصة طويلة ـ تأليف عبد الرحمن عمار ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات الشركة التونسية للتوزيع بتونس

قد لا اتعدى الحقيقة كثيرا اذا قلت بان فنون الادب المختلفة في أقطارنا العربية لم يكتب لها ذلك الامتزاج القوي المطلوب . ولم يكتب للقاريء العربي ان يتناول منتجات اي قطر شاء ، اللهم الا انتاج القطر المصري الذي يغزو كل الاسواق الادبية ، فيما اظن ، ربما بعامل الكثرة والتفوق والتقدم النسبي ، وربما لان مصر هي اكبر دولة عربية من حيث عدد سكانها ، وانها تقع فيمركز شبه متوسط بين دول مشرقنا العربي ومغربنا العربي . واذا اعترفت في مقال سابق بجهلي لكثير من اخبار الحياة الادبية ونتاجها في الكويت فانني ابادر الان الى اعتراف جديد وهو انني لم اكن أعلم عن ادب الشمال الافريقي الا النزر اليسير . فلقد قرأت بعض القصص والمقالات والمسرحيات المترجمة عن ادباء الجزائر الذين قست عليهم ظروفهم فحرمتهم نعمة الكتابة والتعبير بلغتهم الام . وانه ليسوؤني هذا الجهل جدا واتمنى تلافيه . وكأن القدر استجاب لرغبتي فساق الي مجموعة من المؤلفات التونسية على يد الاستاذ الكريم فاضل خلف ، كان بعضها لابي القاسم الشابي ولم أسرع الى قراءته نظرا لمعرفتي بعض الشيء عن فنه وشعره . وتناولت من بينها هذه القصة « حب وثورة » لاطلع على نموذج من نماذج القصة الفنية عند اخواننا التونسيين .

موضوع القصة قومي وطني تخالطه خيوط وجدانية عاطفية ، تشبه خيوطا مذهبة في قماش حريري ، فقد اتسمت قصتنا بسمة المثالية لدى ابطالها سواء من الجانب الوطني او من الجانب العاطفي . فالبطل فيها هو فتى عربي اسمه « مصباح » من منطقة الجنوب التونسي ، احب ابنة عمه « ربح » ولكنه لم يسرع الى طلبها من عمه لاعتقاده انها ما زالت صغيرة السن اذ لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها . وفجأة يسبقه غريم له فيطلب يد الفتاة ويوافق اهلها على زواجها من الرجل الغريب رغم الحب العنيف المتبادل بينها وبين « مصباح » . ويتم زفافها الى هذا الرجل الذي يعمل في صفوف الاذناب التابعين للسلطات الفرنسية ، بعد ان يحصل شجار عنيف بين فئة التابعين لفرنسا وفئة الاحرار ، وبينهم مصباح ، ويلقى القبض عليه مع فئة من الشباب الاحرار . ويمضي الفتى فترة في السجن يذوق خلالها الوان التعذيب ثم يخرج ليحدث الناس عما لاقاه من اهانات مريرة اورثت في نفسه شعورا واضحا من خلال المعاملة التي لمسها . وهذا الشعور هو ان الفرنسيين لا يجلدونه ويهينونه لجرم محدد ارتكبه ، ولكن فقط لانه عربي تونسي مؤمن بعروبته . وبعد خروجه من السجن ينخرط في سلك المجاهدين الذين جندهم حزب الدستور التونسي ، ويذهب الى الحرب . وقد خيل اليه في اول الامر انه سيصيب هدفين : الاول قومي وهو النصر على المستعمرين ، والثاني شخصي وهو قتل « علي » زوج «ربح» وعودة اللقاء بينه وبينها . ولكن فهمه لاهداف الثورة المثالية من خلال لقاءاته مع بعض المسؤولين عنها ،جعله يغير نظرته الى الهدف الثاني ، لاجل اولاد ربح من جهة ولاجل الاهداف السامية البعيدة عن النواحي الشخصية كما شرحها له احد المسؤولين عن التنظيم الحزبي المحارب .

وقد ابدى مصباح في مقاومته المسلحة للمستعمرين ضروبا من الشجاعة نادرة المثيل . وحدث ان وقع غريمه « علي » بيده مع مجموعة من العملاء ولكنه أعدم بعضهم وعفا عن البعض الاخر وبينهم علي مما جعل هذا الاخير يصاب بالذهول ويستيقظ ضميره وينضم الى صفوف الاحرار . ثم يستشهد الاثنان في حادثة واحدة ويسقطان في مكان واحد في احدى العمليات ضد الفرنسيين .

تلك هي ابرز الاحداث التي يصادفها القاريء في هذه القصة ، ومعها صورة لاهم شخصياتها . اما اسلوب كاتبها فاسلوب شيق جذاب استخدم في عرض احداثه طريقة السرد المباشر ممزوجة بكثير من الحوار ، وعمد خلال قسم منها الى طريقة تيار الوعي .

واهم ما يستلفت القاريء العربي في المشرق تلك المصطلحات الغريبة التي يكثر المؤلف من استعمالها ، والتي يصعب فهم بعضها الا من سياق الحديث ، كما في قوله : (الشهر الفارط) وطبعا معناه (الشهر السابق) . ثم استعمالهم الضاد بدل الظاء ، وكأن لفظهما متماثل عندهم ، كما في منطقة الجزيرة والفرات في سورية . فيقول مثلا : (وكانت شفتاه الفليضتان منفرجتين) وطبعا يريد (الغليظتان) .. هذا بالاضافة الى اسماء الامكنة غير المألوفة لدينا .

ومن جهة اخرى لا ادري لماذا يسر القاريء حين يلحظ ضروبا من التشابه بل وحتى التماثل في بعض المصطلحات العامية والشؤون المختلفة . فاذكر على سبيل المثال كلمة (براد) ويعنون بها ابريق الشاي وهو المصطلح نفسه الذي يستعمله اهل منطقة حلب في سورية . ثم حين عرض لنا صورة السوق الاسبوعي في كثير من القرى والمدن السورية حيث يسمى عند بعضهم (سوق الجمعة) او (سوق الاحد) او (البازار) او غير ذلك من الاسماء التي تتحد فيها المسميات رغم اختلاف التسمية .

ولا يسعني في النهاية الا ان اشكر المؤلف علىهذه القصة الجميلة، واتمنى للقطر التونسي الشقيق مزيدا من النشاط الادبي . كما أشكر الاستاذ فاضل خلف على تكرمه باهدائها الي مع غيرها من المؤلفات التونسية الاخرى التي ارجو ان اتناولها قريبا بحديث جديد .

دمشق **لطفية الشهابي**

●

معركة الحضارة

تأليف الدكتور قسطنطين زريق ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

كتاب من وضع الدكتور قسطنطين زريق استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية ، وقد كان رئيسا لها بالوكالة ثلاث سنوات كما كان رئيسا لجامعة دمشق لمدة سنتين وهو من مؤسسي مجلس الدراسات الفلسطينية

وأستاذ جامعي مميز في منصبه الحاضر . عرفته من على مقاعد الدراسة فقد أسعدني الحظ بالتتلمذ له في المستوى الجامعي كما عرفته على مستوى الزمالة يوم كنت أدرس في هذه المؤسسة العلمية الواسعة وكان في الحالتين مثالا يحتذى به فهو في نظري وفي نظر الاكثرية من الشباب العربي استاذ فريد في اتساع علمه وصفاء ذهنيته ودماثة اخلاقه واعجب ما في أمره هذا الاجتهاد المعجز والدأب المتواصل . وحسبك ان تعلم بانه نال شهادة الدكتوراه من جامعة برنستون وهو في الحادية والعشرين من العمر . ولما استوضحته عن سر هذا الامر قال : لقد درست ثلاث صيفيات متواصلة بالاضافة الى ان الشهادة يوم ذاك لم تكن مرتبطة بعدد السنين بمقدار ما كانت مرتبطة بانجاز ما هو مطلوب منك . ولقد رجائي والحياء يعقد لسانه بان لا اتحدث عنه وان اتكلم ما اتسع لي الوقت عن الكتاب لا عن الكاتب . وما احسبني ساوفق بتعريف هذا السفر الادبي بما يستحق .

« معركة الحضارة » كلمتان كافيتان للتعريف . فالانسان منذ ان كان والى يومنا هذا ما يزال في صراع معنفسه وصراع معمجتمعه وصراع مع بيئته وطبيعة ارضه فهو في تساؤل دائم عن مصيره فردا ، ومصيره مواطنا ، فلا الانسان في بدايته مطمئن الى وجوده ، ولا الانسان في حاضرته مطمئن الى مجتمعه ، وما تزال العواصف تتقاذفه ، وستبقى معركة الانسان محتدمة الى اخر الدهر .

ولذا يصح عندي ان يقال بان « معركة الحضارة » هي معركة الانسان الضائع ، الانسان الذي يتجه بانظاره اليوم نحو الفضاء الخارجي لعله ينسى ان هناك حضارة في الارض .

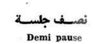
ومهما يكن من امر فالانسان الذي يكتب بمسؤولية العلم مثل استاذنا العالم لا يسعه الا ان يعرف الاشياء ويحدد خصائصها . وعليه فكلمة « حضارة » من الناحية القاموسية تعني الاقامة في الحضر وإذن فهي بمعنى الاستقرار الذي نشأ عن زراعة الارض وبناء المدن وتحصيل المعرفة وهي في رأي ابن خلدون طور طبيعي في حياة المجتمعات المختلفة وهكذا البداوة ، التي هي الاصل من حيث القدم ، ثم تتسع أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش ويحصل لهم ما هو فوق الحاجة من الغنى والرفه ما يدعوهم للسكون والدعة والتعاون في الزائد على الضرورة واستكثار الاقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار .

بعد هذا الاستنطاق اللغوي والتاريخي لمفهوم الحضارة ينتقل المؤلف الى معاني هذه الكلمة عند علماء الاجتماع في يومنا هذا ، فاذا هي نمط من الحياة يتميز بالتقدم والرقي بالنسبة للمنجزات العلمية والابداعات الفنية ومن شروط الحضارة ان يكون في مقدور انسانها السيطرة على قوى الطبيعة بمقدار ما يسيطر هو على طبيعته البشرية ومن مستلزماتها التعاون الاجتماعي الذي يفرض نوعا من الحكم المنظم ، والحضارة كائن عضوي وككل كائن عضوي لها ادوارها المتتابعة وهي كما يرسمها شبنجلر ذات اربعة فصول . ففي ربيعها تتسم بالفاعلية الروحية ، وفي صيفها تبلغ النضج والعطاء ، وفي خريفها تتفرغ للتحليل العقلي ، وفي شتائها تنصرف الى الاهتمام بالمكاسب الخارجية وفي ذلك مقدمة لانحلالها بما يتفق ونظرية ابن خلدون المعروفة . والحضارة تتضمن مفاهيم وقيما بما يلقي ضوءا على معانيها المميزة لها .

وللحضارة كما يذكر الدكتور زريق مفارقات ونقائص . مفارقات في التطور العلمي والتقني بين الشعوب المتقدمة والشعوب المتخلفة . ومثلها هذه النقائص . ثم يستفيض المؤلف في بحثه هذا الى ان يبلغ من الكتاب فصل معركة الانسانية ، ويطيب له ان يحتج بكلمة مأثورة كان قد نطق بها الرئيس كندي قبل مصرعه بشهرين يوم القى في ٢٠ ايلول ١٩٦٣ خطبته المشهورة في الهيئة العامة للامم المتحدة حيث قال : « اننا نملك القدرة لجعل هذا الجيل البشري افضل الاجيال في تاريخ العالم او اخر هذه الاجيال » . من هنا ينطلق المؤلف الى القول بأنه من أهم الواجبات المترتبة على الافراد والشعوب في هذه المرحلة الفريدة من مراحل التاريخ البشري ان يسارع المفكرون الى العمل في سبيل الحفاظ على السلام العالمي الذي هو اليوم نتيجة « توازن الرعب » بين اكبر قوتين ضاربتين : القوة الاميركية والقوة الروسية . وعليه فالرهبة الكابحة الناجمة عن توازن الرعب لا يعتبر ضمانا اكيدا للسلام . وإذن فلا بد للمفكرين والقادة السياسيين من « تنمية الوعي الانساني والتنظيم العالمي وتضييق الفوارق بين الفئات والشعوب » . يستتبع ذلك ضرورة التبدل الجذري في المواقف العقلية والضميرية في سبيل صيانة الحضارة الانسانية واستكمال اسبابها . هذا وانني اترك للقارىء الكريم ان يطلع هو بنفسه على الفصل الاخير من هذا الكتاب النفيس وموضوعه « معركة الشعوب العربية واجهزتها » مخافة ان افسد عليه متعة البحث العلمي الرصين المفرغ في قالب من البيان العربي الطيب . انه ليخيل الي ان الدكتور زريق ما وضع هذا الكتاب الضخم الا بدافع قومي انساني ، وقد اراد به ان يكون هديا لقادتنا السياسيين وحافزا لغيره من العلماء الباحثين .

وديع ديب

•



نصف جلسة

Demi pause

ديوان بالشعر الفرنسي ـ للشاعرة « هدى اديب » ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات مجلة الاديب ببيروت

لقد اصبحت احتار حقا كيف اترجم الاسماء على بعض دواوين الشعر الفرنسي التي تظهر في بيروت ، وتطبع لبنان بطوابع اللغة الفرنسية وفنونها الى جانب عبقرية لغة العرب .

فلما اهدت الي الشاعرة النابغة « هدى اديب » ديوانها الاول ، اخذت اعرض الترجمات المطابقة والموافقة على التمييز حتى تخيرت منها « جملة معترضة » لمعنى Parenthèse

واليوم تتفضل الشاعرة « هدى » فتهدي الي نسخة من ديوانها الثاني الذي تسميه demi pause فآخذ بأسباب الترجمة التي تنزل منازل هذا العنوان ، فيكون لدي افضل ما يقابلها بالعربية « نصف جلسة » .

ولعل نصف الجلسة في فن الشاعرة الاديبة ، جلسة لا تترك المرء يتمكن فيها من الرؤية للجالس مواجهة ، لكي يظل به شوق الى الرؤية الكاملة ، وما احسبها قصدت بنصف جلسة ، جلسة قصيرة تعد نصفا للجلسة الكبيرة ، فان في هذه الخاطرة لا يسكن الشعر . وانما يسكن بتلك حقا .

وفي هذا المعنى اخذت اردد شعرا للشاعرة العباسة اخت هرون الرشيد وكان لها شعر تدله مفتان ومتوله يحسدها عليه الشعراء المفنون واسلكه ابو الفرج الاصفهاني في المئة صوت المختارة ، وهو قولها :

بني الحب على الجور فلو … انصف المحبوب فيه تسمج
ليس يستحسن في وصف الهوى … عاشق يكثر تأليف الحجج
فقليل الحب صرفا خالصا … هو خير من كثير قد مزج

وان « نصف جلسة » تدخل في باب الحب وادابه ، وللحب

اساليب واداب ، لانها لا تمكن المعجب من النظر مليا الى المعجب به .

وكيف دار الامر على اطار العنوان الرمزي الجميل لهذا الديوان العبق بشذى التامل ورفيف الحياة ، فاني مندفع الى الكلام عليه لاكون اول من يكتب عنه ، كما كنت في السابقة اول من كتب عن الديوان الهدوي الاديبي الاسبق .

كان الشاعر الفرانق « جان شكيب الخوري » اهدى الي ديوانيه وكتبت عن الثاني الذي سماه « صدى الصمت » في مجلة صديق العمر الاستاذ العظيم « البير اديب » في الشهر الماضي . ولقد جاء حظي في الكلام على دواوين الشعر الفرنسي في لبنان كبيرا وضممت الى ذلك كلامي على دواوين الشعر الفرنسي في ديار المغرب وفي مطالعها دواوين صديقي الجهبذ العميد الدكتور عبد العزيز الحبابي .

وكنت منذ اسبوعين اطالع ملحق « الانوار » البيروتية وهو يعنى بالدراسات الادبية والفنية المعاصرة يطرف بها قراءه فكان من كلامه على الشاعر العظيم « هيكطور خلاط » الذي كنت وانا طالب في كليتي الحقوق والاداب بالجامعة السورية اسمع به واقرأ اخبار الكاتبين عنه وكان صديقي القديم باقعة الصحافة والادب في القرن العشرين الشيخ فؤاد حبيش يعنى عناية مفوقة بثلاثة شعراء او اربعة ، ويطيل المذكرات في شؤون ادبهم في مجلته الرائعة «المكشوف» وذلك منذ خمسة وعشرين عاما ــ وليس باقل ــ والشعراء هم هيكطور خلاط وشارل القرم ويوسف غصوب والرابع سعيد عقل الذي كنت يومذاك اسميه «ابوللون» اما اليوم فصار اسمه عندي « افلاطون العرب » .

وكان الشاعر هيكطور بحق حتىاليوم زعيم مدرسة الشعر الفرنسي في الديار العربية جمعاء . اما شاعرتنا الجديدة النابغة « هــدى » فهي زهرة ريا طلعت في بستان اخينا الشاعر والكاتب البير اديب ، وليس غريبا ان يطلع هذا البانيالكبير لادب العصر الحديث زهرات ندايا في روضه الاغن ، زهرات لا تفنى ..!

ويخالطني ود في ان اضيف الى العربية نضير المعاني التي ترد في القصيدة الفرنسية عند شاعرتنا « هدى » فاجبني قد حلا لي ان انقل الى الشعر العربي بعض ابيات من القصيدة الاولى في ديوان « نصف جلسة » حيث تقول شاعرتنا الغناء :

سافرغ وجدي في هواك لان ارى	وجودك مثل الغصن قد غاب عاطره
وارفع بيتا فوق بيت كمحبس	يسد به باب عليك وناظره
واسكب اشعاعا قتاما موحلا	عليك الى ان يفقد العقل ذاكره
وصخر على صخر سالقيك تحته	وارشف صخرا ظامي الروح ماطره
واجتاز شخصا فيكبالسيفقاصما	وجسمك مصلوب ولا شيء ساتره
واسمع في الامواج زارا يريدني	وقد بت في منای لديك يساوره
سارقصرقصالشجو، صوتزجاجة	تكسر في حلم اراني ابادره

واقف عند هذا البيت ، اذ ان بقية القصيدة عذاب وانتقام وتمثيل بالجراح وصب جامات غضب على انسان لعله هو المغضوب عليه الاعظم ؟!..

ومن غريب ما لم اتوقعه في هذا الديوان واراه اول مرة في الطباعة الحديثة هو خلو القصائد من العناوين والمسميات وخلو الديوان من الفهرس والمحتوى ولعل هذا هو سر « نصف الجلسة » اذ لو كانت كاملة لجاء الديوان بفهرس لفحواه وعناوين لقصائده ، وههنا تفتح شاعرتي امام خاطري سؤالا :

ــ فيم يكون للشعر فهرس يرجع المرء اليه ؟ هل هو نظريات رياضية ، او قواعد نحوية او قضايا فلسفية .

انه شعر يفيض بالتامل وتنحسر دون مباهجه كل سلويات الحياة.

ولهذا فاني وجدتني مسوقا لاقف عند كل قصيدة بعد ان اشق عنها لصيق الصفحات المصقولات اللوامع كمن يقشر برتقالة او يزيل القشر عن تفاحة نضرة قبيل ان فمه يداعبها بلسانه ومذاق اسنانه ، فاذا بي اجد الشاعرة هدى البير اديب تلبس شعرها ديباجة كلاسيكية من الشعر الفرنسي المكين ، ثم تخلع عليه روائع ابداعية من نفحات هوغو وموسيه ولامارتين ثم هي تسارع في ان تعطيه الوانا زواهي ، من رمزيات بودلير وفيرلين وجرار دويزفال ثم تقفز قفزة سحرية الى القرن العشرين الذي تطرفه بعيشها فيه فاذا انبعاثات شعرية فواتن تفيض لديها على شعرها . وشعر هدى يصلح للغناء والشاعرة ذات لحون وموسيقى تغنت بالاوتار ، مثلما تغنت بالاشعار .

وتموج في قصائدها موضوعات الروح والريحان في خوالج وجدان صاف طهور وفي شعرها مواقف مشرفة في تقديس الوطن اللبناني والعربي وتصوير خلوده ومنعته وهي تشيد بالحب الذي لا يفني ولا تدلف اليه الشوائب كما تغني بنايها الحنون التحيات العبقات بأزاهير الربيع للصداقة الصافية التي هي افضل من الحب الزائل .

فللشاعرة النابغة الحسناء هدى ألبير اديب اسمىتحياتي ولوالدها العظيم اخي على العمر كل تهنئاتي فلقد أعطى العربية والانسانية من ادبه وادب اهليه الكثير ويعيش يضيف كل يوم لبنة في بناء الادب العربي المعاصر .

دمشق　　　　**زكي المحاسني**

•

ابن سعيد المغربي : المؤرخ ــ الرحالة ــ الاديب

تاليف محمد عبد الغني حسن ــ ٢٠٧ صفحات ــ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

في القرن السابع الهجري ولد ابن سعيد المغربي بأرض الاندلس ، وعاش فوقها ليتلقى علوم الادب واللغة والفقه ، ومنها بدأ انطلاقه شابا متأدبا رحالة الى المغرب الكبير ومصر والشام ، مكتسبا خلال تجواله كثيرا من المعارف والاصدقاء والاطلاع على شتى مناحي الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية في هذه البلدان . يساعده في ذلك والد يحب الادب والادباء ويسعى الى الذخيرة الفكرية ويطلبها حيثما كانت ومهما كلفه السعي من مشاق ومصاعب .

وكانت اخلاق ابن سعيد عاملا مؤثرا في استيعابه لحياة الغربة والترحال . وسببا من الاسباب التي ربطت بينه وبين الكثير من الحكام والاصدقاء ، وابرز هذه الاخلاق ، الظرف والكياسة والمجاملة . اضف الى ذلك ما كان يملكه من موهبة أدبية تمثلت في قرض الشعر وصوغ المدائح .. وقدرة على الوصف والمقارنة .

ويعد ابن سعيد المغربي من المؤرخين الذين ساهموا بجهد كبير في اثراء الفكر الادبي الاسلامي على مستوى الرقعة الممتدة من الاندلس غربا حتى الشام في الشرق . فقد قدم مئات التراجم لمئات من الكتاب والادباء وغيرهم ممن عاصرهم ، ضمنها كتبه التي تبلغ ثلاثين كتابا واشتهر منها : « القدح المعلى » و « المرقصات والمطربات » و« الغصون اليانعة » و « المغرب في حلى المغرب » و « المشرق في حلى المشرق » وغيرها وكلهاكتب تاريخية ووصفية وادبية .

وبجانب دور ابن سعيد المغربي في التاريخ للفكر الادبي الاسلامي في القرن السابع الهجري فان له دوره الخاص والذاتي في هذا الفكر .. فقد كان شاعرا وناثرا .. نظم كثيرا من القصائد الشعرية فيمختلف اغراض الشعر السائدة في عصره ، وكتب كثيرا من الكتب الجيدة ضمنها وصفا للاماكن التي شهدها وزارها مما يدخل في ادب الرحلات ذي القيمة الادبية العالية . اضف الى ما سبق حسه الادبي وذوقه النقدي وتقنينه للشعر من حيث جودته ورداءته ، وتحديده لدرجات

الشعر من اعلى الى اسفل ، وانطلاته من هذا ايحكم على الشعراء وشاعريتهم .

ويبسط لنا الاستاذ محمد عبد الفني حسن شاعر الاهرام والباحث الاديب ، صورة مفصلة لهذا المؤرخ الرحالة ابن سعيد المغربي فيكتابه الذي بين ايدينا . وفيه يرسم خطوطا ويظلل مساحات في تناسب وتناسق ، ليوضح لنا سيرة رجل عرف بالناس ونسيه الناس ، وقدم الى الناس مئات الترجمات لرجال بارزين في عصرهم ، ولم يقدم رجل في اي عصر ترجمة تليق به. اللهم الا هذه الترجمة التي بين ايدينا . وقد جاء الاستاذ محمد عبد الغني حسن ليطبق مبدأه في الوفاء لمن تنكر لهم الناس من الادباء والمفكرين على مدى العصور الادبية المتعاقبة. يقول شاعر الاهرام في المقدمة : « لذلك رأينا ـ انصافا للرجل ـ ان نقوم بعبء الترجمة له في كتاب قائم بذاته ، يتسع لنا فيه القول مما لم تستطع الدراسة الموجزة ان تنهض به ، لعل مثل هذا الكتاب في سيرة رجل من أعلام الفكر العربي يكون لونا من الوفاء لقوم لم تكن الحياة سخية عليهم بالكتابة عنهم والافاضة في سيرتهم » وهكذا وفى شاعر الاهرام بما وعد ، فجلا الصورة وابرزها في كتابه ، واعطى لابن سعيد ما يستحقه يواكبه في هذا العطاء عطف واضح على ابن سعيد يشيع خلال السطور .

وقد اشتمل الكتاب على اربعة فصول رئيسية ، تناول المؤلف في الفصل الاول عصر ابن سعيد بجوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية. وفي الفصل الثاني : ابن سعيد في عصره موضحا سيرة موجزة للنشأة والمؤثرات المختلفة فيها مع عرض لجوانب من اخلاقه . اما الفصل الثالث فيضم جوانب متعددة لحياة ابن سعيد الفكرية في مجال التاريخ والوصف والترجمة والشعر والنقد الادبي .. وفي الفصل الرابع والاخير ينتخب المؤلف بعضا من آثار ابن سعيد في الشعر والنثر في اغراض مختلفة .

والحقيقة ان المترجم يملك القدرة على جعل الصورة زاخرة بالحياة . وتحس وانت تتملاها بانها تكاد تتحرك . ولا اكون مبالغا اذا قلت ان ابن سعيد المغربي صورة تتحرك امامي واكاد اراه وهو يجوب شوارع الفسطاط والقاهرة ويختلط بأهلها ويعاشر ادباءها وحكامها . واراه وقد بدا الاشمئزاز على وجهه وهو يركب الحمار ـ ترام هذا الزمان واتوبيسه ـ والنقع مثار من حوله ، واراه وهو يتعجب من اهل العلم وذوي الفضل كيف سولت لهم انفسهم ان يركبوا حميرا في هذا البلد .. العريق !

بيد ان لنا ملاحظات يسيرة لا بد ان نثبتها ونتعرض لها . وهي تتعلق بهيكل الكتاب وبعض الاراء التي وردت ضمنه .

١ ـ اوجز لنا المؤلف في عرض الحياة الاجتماعية السائدة في عصر ابن سعيد المغربي او في القرن السابع الهجري ايجازا شديدا ، لم يعط الملامح الاجتماعية الكافية لمجتمع العرب المسلمين في هذا القرن . ولم نعرف ما هو الوضع الاجتماعي لمختلف طبقات المجتمع آنئذ . وقد يقول المؤلف : انني لا اعرض لحياة اجتماعية في عصر ما بقدر ما اترجم لشخصية معينة ويكفيني ان اورد الخطوط الرئيسية للحياة في العصر الذي عاشت فيه هذه الشخصية . وهذا القول مردود بأن الايجاز لا بد وان يكون كافيا ومؤديا للملامح العامة على الاقل . ويمكن قبول الاعتراض لو كان المترجم له في عصر معروف ومشهور لدى اغلبية القراء كالعصر العباسي مثلا او صدر الاسلام !

ونحن نعتقد ان بعض ما كتبه المؤلف في الفصل الثالث كوصف القاهرة يعتبر امتدادا للحياة الاجتماعية في الفصل الاول. وحبذا لو اتصل هذا بذاك مع ترتيب وتنظيم واضافة . ولعل الطبعة القادمة تتضمن شيئا من هذا .

٢ ـ كان الاستاذ المؤلف متعاطفا الى حد كبير في الحكم على شخصية ابن سعيد كانسان ونحن مع المؤلف في ان ابن سعيد رجل ظريف خفيف الروح لا تجلله غمامة من الثقل والبرودة والتكلف . ونحن معه ايضا في انه رجل اجتماعي كيس بكل ما تحمله الكياسة من معان. ولكننا نختلف حول ما قيل عن مجاملته للناس ومداراته لهم . ونحن نستنتج مما عرضه المؤلف من مواقف لابن سعيد المغربي ان مواقفه لا تعبير عن رأي ايجابي يحمله رجل مثله اديب وذو فكر ناضج . ونرى ان مداراته للناس تعتبر نوعا من الضعف النفسي لازم ابن سعيد في مسيرة حياته . ويؤيد ما ذهبنا اليه مسلكه حين مدح ثائر اشبيلية المعتضد الباجي ثم مدحه بعد ذلك لقاتل المعتضد واعني به محمد بن يوسف بن الاحمر . وهو مسلك يدل على التبعية وعدم الانتماء لمبدأ ومسايرة الاقوى وهو موقف يزري بالكاتب او المفكر حين يتخذه او يسلكه . وبالرغم من ان الاستاذ عبد الغني حسن قد علل موقف ابن سعيد هذا بالاضطراب والهزات النفسية في الاندلس آنئذ فان هذا لا يكفي لتبرئته من الضعف النفسي حيال القضايا العامة .

٣ ـ في تقويم شعر ابن سعيد يطمع المترجم ان يغير الدكتور شوقي ضيف حكمه على الشاعر والذي تضمن وسطية ابن سعيد بين شعراء عصره ، ونحن نقول ان شعر ابن سعيد الذي يستحق الدخول في مضمار التعبير الراقي عن الاحساس والتجربة والمعاناة هو شعر الرثاء والحنين . اما ما عدا ذلك فحكم الدكتور شوقي ضيف صادق تقريبا . لان غالبية هذا الشعر لا يحمل من المعاني والصياغة ما يرتفع الى الشعر المحلق .

٤ ـ اورد المؤلف ملخصا موجزا جدا لوصية والد ابن سعيد له . واعتقد ان ايراد هذه الوصية بالنص سوف يعطي جرعة من الحيوية في التأثير حين نقرأ الكتاب نظرا لقيمتها وغناها .

هذه بعض ملاحظات خطر لي ان اسجلها ، واعتقد انها لا تغض من قيمة الكتاب وريادته في الترجمة لحياة رجل ترجم للكثيرين ، واعطى ذخيرة قيمة في مجال الوصف والادب عامة .

دمنهور ـ مصر

حلمي محمد القاعود